سندريلا ٢٠٠٠

روايـــة

د. نبيل راغب



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٠

الاخراج الفنى : أسامة سعيد

(١)

هبط الستار وقد توقف أمير حلمى عن التصفيق وسط أعضاء فرقته الاستعراضية دون حماس كبير اذ أن عدد المتفرجين فى الشهر الأخير ظل يتناقص لدرجة أنه قرر أن تكون هذه الليلة ختام الاستعراض الذى لم يستمر بنجــاح كبير كمـا توقع له برغم أنه لقب بملك الاستعراض دون منازع · لكن الأمر العجيب أيضا أنه هو نفسه لم يكن راضيا تماما عمـا يقدمه · كان طموحه أكبر من ذلك بكثير · فقد درس الاخراج المسرحى فى فرنسا على أيدى أساتذة كبار هنــاك وعــاد الى مصر وهو يكاد يطير بأجنحة الأمــل والطموح لانشــاء مسرح استعراضى على مستوى عالمى · واستعان بطلبة وطالبات معهد الباليه فى تكوين فرقته الجديدة حتى تكون استعراضاته على أساس علمى ، لعله يكتشف من بينهم بطلة أو بطلا يمكن

أن يجذب اليه الجمهور متى رن اسمه فى أسماعه · صحيح أن اسم أمير حلمى كان كفيلا بنجاح أى عمل يقوم باخراجه . لكنه كان يؤمن بأن الجمهور المصرى والعربى لا يهتم كثيرا بالمخرج الذى لا يراه رؤية العين ، انه يريد بطلا يتوحد معه أو بطلة يحلم بها فى زمن عزت فيه الأحلام · وحتى الآن لم يجد أمير ضالته المنشودة ·

حيا أمير أعضاء فرقته وشكرهم على مجهودهم برغم ومضات الاحباط فى عيونهم اللامعة ، واستدار ليخترق الكواليس هابطا على عدة درجات خشبية صوب غرفة مكتبه التى دخلها وعماد مساعده يهرول فى أعقابه · استند أمير بظهره الى حافة مكتبه فى حين قال عماد :

ـ ومع ذلك نجح الاستعراض وتفوق على أى عرض مسرحى آخر فى البلد !

أزاح أمير خصلة شعره الذهبية من على جبهته فى عصبية واضحة :

ـ ليس هو النجاح الذى يجب أن يصنعه أمير حلمى !!

كان عماد خبيرا بنرجسية أمير الذى يظن نفسه أهلا للكمال الذى لم يتحقق بعد · بحث عن كلمات يملأ بها فراغ الصمت المشحون بعصبية أمير لكنه لم يجد فى حين اندفع أمير هادرا :

ـ لست أنا الذى أقتنع بتقـــديم فقرات استعراضية متناثرة لا رابط بينها ! أريد تقديم عمل استعراضى متكامل يجمع بين التمثيل والغناء والرقص ! عمل يحفر اسمى بحروف من نور ونار على تاريخ المسرح الاستعراضى !

ابتسم عماد ابتسامة مدركه لمـا يدور داخل أمير :

ـ العمل الكبير فى حاجة الى بطل أو بطلة ٠٠ ونحن لازلنا عاجزين عن العثور عليه أو عليها ٠٠ ولذلك اقتصرنا على الفقـــرات الاستعراضيـــة التى تعتمـــد على الراقصين الناشئين !! العين بصيرة واليد قصيرة !

ـ أنت تعلم يـا عمـاد أننى على استعداد أن أنفق كل ثروتى الضخمة على تحقيق هذا الحلم !

ـ وأنا أيضا أحلم باخراج أوبريت « سندريللا » التى كتبناها ســويا ! ستكـون نقطـة تحـول فى تاريخ المسرح الاستعراضى !!

قفز أمـير ليجلس على حافـة مكتبه صائحـا مع وميض عينيه الخضراوين :

ـ فعلا ٠٠ أين هى سندريللا ؟! أين هى سندريللا ؟!

جلس عماد على مقعد جلدى مواجه لحذاء أمير الأســود اللامع :

– كان عم توفيق قد اقترح الاعلان عن مسابقة لاختيار أفضل فتاة يمكن أن تقوم بدور سندريللا !

– ومن عم توفيق هذا ؟!

– وكيل الفنانين المعروف ووالد سحر وسلوى وسندس الراقصات عندنا !

نظر أمير بلا مبالاة وقد مط شفته السفلى :

– لا أعرفه .. كما أننى لا آخذ بالى من البنات بصفة شخصية !

– برغم أنهن يحمن حولك كالفراشات حول النور !

– معظمهن مراهقات .. وأنـا لا وقت لدى للحب .. الفن ملأ حياتى لدرجة الاختناق !

تمنى عماد أن يقول له : وذاتك أيضا ملأت حياتك حتى الاختناق ! لكنه أردف متسائلا :

– لكنك لم تقل لى رأيك فى فكرة المسابقة !

هبط أمير من على حافة المكتب ليفتح الثلاجـة الصغيرة الكامنة فى زاوية الغرفة ليتجرع منها زجاجة مياه مثلجة . التفت الى عماد :

– وهل تعتقد أننا سنعثر على سندريللا بين فتيات ربما

كن جاهلات تماما بالفن ٠٠ فى حين أننا فشلنا فى العثور عليها بين أعضاء الفرقة وخريجات معهد الباليه !

ـ العلم يمكن أن يصقل الموهبة وينميها لكنه لا يخلقها ! ومصر كانت دائما ولادة لكل المواهب !

ابتسم أمير وكأنه المقصود بهذا الكلام ! لم تكن ذاته تغيب عن فكره لحظة واحدة ! تحرك راضيا ليرتمى على المقعد الجلدى الوثير خلف مكتبه :

ـ أملى ضعيف جدا فى العثور على ما أريد !

ـ اذا فشلنا ٠٠ يمكن أن تقــدم برنامجا استعراضيا جديدا ٠٠ فلا يزال الاقبـــال على مسرحنــا يفوق أى مسرح آخر !!

شرد أمير ببصره الى صورة سندريللا فى باليه بروكفييف الشهير المعلقة أمامه على الجدار ٠ قال وكأنه يحلم :

ـ بعد أن كتب بيرو أسطورة سندريللا الشهــيرة ٠٠ أقــام عليهــا روسينى أوبرا مشهــورة ٠٠ ثم تبعه ما سينيه بأوبرا أخرى ٠٠ وبعدهما وولف فيرارى ٠٠ ثم جاء بروكفييف بالباليه الغنائى « سندريللا » ٠ والآن حل الدور على أمير حلمى ليقدم رؤيته الجديدة فى « أوبريت سندريللا » !!

ثم أضاف وكأنه يفيق من حلمه :

ـ لكن كيف ؟! كيف ؟!

نهض عماد ليسير فى الغرفة مقلدا هاملت فى مناجاته الشهيرة :

ـ تلك هى المعضلة !!

ترددت أصوات فتيات الفرقة وأصداؤها خارج الغرفة فأدرك أمير أنهن تجمعن كعادتهن للسلام عليه ومداعبته لعلهن يفزن منه بنظرة أو ابتسامة يذهبن بها حالمات الى بيوتهن . قال أمير فى عصبية :

ـ لا أعرف لماذا يتلكأن كل ليلة بعد تغيير ملابسهن ؟! لماذا لا يذهبن فورا الى بيوتهن ؟!

لم يحتمل عماد سؤال أو تساؤل أمير الذى يعرف اجابته مقدما فأجاب برنة لا تخلو من السخرية :

ـ أنت تعلم جيدا لماذا ؟!

نهض متوترا وهو يحك ذقنه فى عصبية :

ـ عليك بصرفهن ! ليس لى مزاج الليلة للتحدث مع أى انسان !

تحرك عماد صوب الباب :

ـ سأصطحب معى الزعيمتين سلوى وسحر ومعهمـــا

أختهما سندس في سيارتي ·· لأنهن يسكن بالقرب مني ·· عندئذ سيتنصرف الباقيات تلقائيا !

لم يسترح أمير للفظ « الزعيمتين » :

ـ لا تضفى ألقابا كبيرة على مجرد فتاتين للاستعراض ·· لا أعرف من هما على وجه التحديد !

رفع عماد ذراعه مداعبا بالتحية العسكرية وصائحا بلهجة صارمة :

ـ سمعا وطاعة يا زعيم !

ثم دق الأرض بقدمه ليستدير منصرفا فى حين قال أمير فى حسم :

ـ واتفق مع عم توفيق هذا على اعداد المسابقة ·· فلن نخسر شيئا على أية حال !

دق عماد الأرض مرة أخرى بالتحية العسكرية :

ـ سمعا وطاعة يا زعيم !

وانطلق الى خارج الغرفة وسط دهشة أمير لمساعده العاجز عن استيعاب عبقرية أستاذه بدليل أخذه الأمور ببساطة أكثر من اللازم ! ألقى بجسمه الرشيق على المقعد خلفه ولسان حاله يقول ·

— ويل للعبقرى وسط العاديين من البشر !!

ثم رفع بصره ليتأمل سندريللا الفراشة الشفافة الحالمة المعلقة على الجدار أمامه ، ولينطلق بخياله متصورا عثوره على سندريللا المصرية التى تكـاد تطير بأطيافها الوردية وسـط طوفان النور المتدفق بين أرجاء المسرح ٠



(٢)

تألقت مصـــابيح منتصف الليـــل بين حنايا القــاهرة وشوارعها المستكينة لقطرات الندى فى تلك الليلة الصيفية ذات الرطوبة العالية ، والمستسلمة لسيارة عماد الحمـــراء الصغيرة المنطلقة صوب العباسية مخترقة لشارع رمسيس . جلست سحـــر الى جـوار عمـاد فتناقض بياض بشرتها مع سمرته ، وشعرها الناعم الذى يميل الى الاحمرار مع شعره الكث الأكرت . أما عيناها العسليتان فلم يبد منهما فى ظلام العربة سوى وميضهما عندما يلتقى مع خيوط النور الممتدة من مصابيح الشارع عبر زجاج السيارة الأمامى صوب وجههـا الأبيض وفستانها الأصفر .

وفى المقعد الخلفى جلست سلوى والى جوار النافـــذة

الأخرى قبعت سندس · كانت سلوى تشبه أختها الى حد كبير وان كانت أقل منها جمالا ، ولذلك صبغت شعرهـا باللـون الأصفر ، وأثقلت من أحمر الشفـاة ومساحيق الوجنتين ، ووضعت حول جيدها عقدا متألقا من اللؤلؤ غير الطبيعى ، وعلى جسدها فستانا أحمر ضاعف من بياض بشرتها · أمـا أختها سندس فقد أسندت ذراعها الى مقبض البـاب وقـد سرحت ببصرها عبر النافذة وكأنها لا تشعر بوجود الآخرين معها · كانت خمرية اللون ، رقيقـة كالفراشة ، سـوداء العينين الواسعتين بوميض عميق عمق الآبار المهجورة ، لامعـة الشعر الأسود النـاعم المسترسل على كتفيها لتلامس بعض جدائله نهديها فى حين تدفق البعض الآخر على ظهر فستانها الأبيض · كانت تبدو ضعيفة ، مستسلمة برغم سهام الارادة والاصرار والعزيمة المنطلقة من أعماق عينيها المضيئتين ·

قطع عماد حبال الصمت :

ـ على عم توفيق أن يجهز للمسابقة فورا ·· فنحن أدرى بعصبية أمير ·· وعدم احتماله أى تسويف !!

أجابت سحر وعيناها مركزتان على الطريق الذى تنهبه السيارة :

ـ لا تعبـأ ·· بابا خبير بكل هـذه الأمور ·· لكن ما يضايقنى اصرار أمير على عدم وجود من يمكن أن تقـوم بدور سندريللا التى لا يزال يحلم بها !

علق عماد وهـــو يملأ عينيه بوجهها الأبيض المستدير ووميض عينيها العسليتين :

ـ لكل مخرج رؤيته الخاصة به !

استرخت سلوى فى مقعدها وقد أزاحت أطراف فستانها حتى أعلى الركبة هربا من الحر والرطوبة :

ـ انه ديكتاتور متكبر متجبر ٠٠ يظن نفسه مركـــز الكون ٠٠ لا يقبـــل أى رأى معـــارض لـــه ٠٠ ولا يؤمن الا بعبقريته التى لم يأت الزمان بمثلها !

أضافت سحر معلقة وهى تنظر خلفها الى أختها :

ـ وطالمـا أنه بهذه العبقرية فلماذا لا يصنع بطلتـــه بيده بدلا من البحث عنها حتى يجدهـــا جاهزة دون تعب أو عبقرية !! والفرقة فيها الكثيرات الجاهزات للصنع !!

أطلق عماد ضحكة صافية وهـــو يحك شاربه الكث بيسراه :

ـ وطالمـا أنه كريه لهذا الحد ؟! فلماذا تتكالبن عليه حتى ضاق بكن ؟!

أشاحت سلوى بوجهها عبر النافذة وهى تساوى خصلات شعرها بكلتا يديها محدثة صوتا بشفتيها كمص الليمون :

ـ قل هذا الكلام للمجنونات اللاتى يلهثن وراءه دون طائل !!

أما أنا فلم أفقد نعمة العقل بعد !!

لاحظ عماد نبرات الحنق فى كلماتها الأخيرة ، فحقد على أمير الذى تتمنى كل الفتيات نظرة رضا وتعطف منه برغم ادعاء بعضهن عدم الاهتمام ، فى حين أنه وقع فى غرام سحر القابعة الى جواره والتى لا يعرف اذا كانت لا تشعر به أو أنها تشعر وتدعى غير ذلك ! لكن ويل لك يا سحر اذ كنت تظنين أننى يمكن أن أكون الاحتياطى بالنسبة لأمير ؟! اذا لم تفوزى به فلابد أن أكون فى انتظارك ! فالغرور يجب ألا يصل بك الى هذه الحدود !! فكفانا غرور أمير !! فجأة قال لسحر متسائلا بنبرات يضغط عليها :

ـ لماذا تتجاهل بعض الفتيات من يهمن بهن غراما فى حين يلهثن وراء من يتجاهلهن تماما ؟!

تجنبت سحر نظراته وهى تجيبه بتساؤل آخر :

ـ ولماذا يصر بعض الشباب على الوقوع فى غرام من لا تشعر بهم ؟!

واجهها بتساؤل جديد :

ـ أتظنين هذا نوعا من قلة العقل ؟!

ابتسمت سحر ابتسامة لم تخل من خبث :

ـ ألا تلاحظ أننا نجيب على الأسئلة بأسئلة جديدة ؟!

أشاح عماد بوجهه مركزا عينيه على الطريق الذى بدت فى نهايته ميدان العباسية .

ـ فعلا .. نحن ندور فى حلقة مفرغة !!

تمسكت سحر بالصمت الذى امتزج بحفيف الاطارات وأزيز المحرك ، والسيارة تنحرف يمينا متوغلة فى شارع مترب خافت الاضاءة لتقف أمام أحد بيوت العباسية القديمة ذات الأعمدة الضخمة والدرجات الحجرية . لم يهبط عماد كعادته لتوصيلهن الى الباب بل تركهن يهبطن وهن يلوحن بأيديهن مودعين ، فلوح لهن منطلقا بالسيارة التى أثارت خلفها سحابات من التراب برغم قطرات الندى التى تشبع بها الهواء .

أسرعت سحر على الدرجات الحجرية لتفتح الباب الخشبى الضخم بمفتاح أخرجته من حقيبتها الصفراء الصغيرة لتدخل وفى أعقابها سلوى ثم سندس التى كادت تجر أقدامها لتدخل وتغلق الباب خلفها . كانت الأم جالسة على كنبة أسيوطى تتابع فيلما مصريا فى جهاز الفيديو . ابتسمت لابنتيها سحر وسلوى اللتين أسرعتا لتقبيلها ، فى حين وقفت سندس هامسة فى انكسار :

ــ آين بابا ؟!

ــ هكذا ٠٠ بلا مساء الخير ؟!

تلعثمت بعض الشيء ثم قالت فى حرج :

ــ مساء الخير يا طنط ٠٠ أين بابا ؟!

ــ سألت عليك العافية يا حبيبتى ٠٠ نام منذ ساعة ٠٠ آكنت تريدين أن يظل مستيقظا ليكون فى استقبال الهانم ؟!

نكست سندس رأسها لتتحرك صوب غرفتها ، لكن صوت زوجة أبيها لاحقها كالسوط :

ــ الصحون فى حوض المطبخ لم تغسل بعد !

اعتادت سندس هذه اللهجة الناضحة بالسخرية المريرة فأجابت بنبرات كسيرة :

ــ تحت أمـــرك !

ــ وأرضية المطبخ والحمام فى انتظار المسح !

ــ أمـــرك !

وانتظرت سندس لعلها تسمع مزيدا من الأوامر لكن سحـــر وسلـوى جلستا عن يمين أمهما ويسارها يتجاذبن أطراف الحديث الهامس ٠ فاختفت سندس فى غرفتها كأنها تستجير بالوحدة ٠ سألت الأم سحر :

– هل هناك جديد !!

– لأول مرة ينتهى العرض دون الاعداد أو حتى التفكير فى العرض الجديد ؟!

أسندت الأم خدها الى يسراها وقد صرفت النظر عن الفيلم المعروض :

– وان شاء الله ستمكثون بلا عمل ‥ وعشانا عليـك يارب !!

قالت سلوى وهى تخلع حذاءها وتمد ساقيها :

– يطارده جنون اسمه سندريللا ! يظن أن العالم كله فى انتظارها ! وبهذه الطريقة سيغلق المسرح باذن الله !

ربتت الأم على ساق سحر الجالسة على مسند الكنبة :

– ألم يلتفت اليك أو الى سلوى حتى الآن ؟!

أجابت سحر بنبرات زاخرة بالاحباط :

– أمير لا يلتفت الا الى نفسه !! عملت البدع لكننى فشلت !

أضافت سلوى :

– يظن نفسه الأمير الذى سيقع فى غـرام سندريللا ! أوهام فى أحلام !

قالت الأم بلهجة حاسمة قاطعة هزت جسدها البدين :

ــ المهم ألا تخرج واحدة منكما من المولد بلا حمص !!

كانت سحر على وشك أن تعلق على كلام أمها ، لكنهـا توقفت وران عليهن الصمت عند خروج سندس من غرفتهـا فى قميص نوم خفيف قصير فى طريقها الى المطبخ الذى ابتلعها دون أن تنظر اليهن ٠

بجوار الحوض كانت تلال الصحون والأطباق القـذرة قابعة ٠ فتحت سندس الصنبور على الصابونة بين أصابعهـا التى دارت حولها فى رقة حتى ومضت الفقاقيع فى الضوء الخافت وشرعت فى غسل الصحون واحدا بعد الآخر ، لكن دمعتين تألقتا على وجنتيها فمسحتهما بظهر يمناها ، وهى تضاعف من انهماكها فى عملية الغسيل لعلها تهرب من الأفكار المحمومة التى تنهش رأسها الصغير القابع تحت هالة شعرها الأســـود اللامع النـاعم المسترسل على كتفيها وظهرها حتى منتصفه ٠

دقت الساعـة المعلقـة فى المدخـل الواحدة والنصف صباحا ٠ لم يتبق من ضوء فى المدخل سوى المصباح السهارى فأدركت سندرس أن كل من فى البيت قد أوى الى فراشـــه ولا يزال عليها مسح المطبخ والحمام ! هل يرضى الله بهـــذا الذل ؟! انها لا تعترض على ارادته لكنها تتساءل مجرد تساؤل! هل هو ذنبها أن تموت أمها يوم ولادتها لتخرج الى الدنيـــا

يتيمة الأم وشبه مرفوضة من الأب الذى تفصح نظـراته فى بعض الأحيان عن أن مجيئها الى الحياة كان شؤما ، برغـم زواجه بعد شهور قليلة من رحيل أمهـا وانجابه لسـحر وسلوى ، ونجاحه فى عمله كوكيل للفنانين ! ومع ذلك لـم تجد من تتعلق به فى الحياة وأمواجها العاتية سوى أبيهـا الذى منحها من العطف أكثر ممـا تتمنى من الحب ، والذى التهمت زوجتـه وسـحر وسلوى البقية الباقية من وقتـه واهتمـامه اذ أنه يقضى معظم يومـه فى مكتبـه بين مختلف الاتصالات والعلاقات !

انحنت سندس على بلاط المطبخ بالخيشـة المبتلة كى تزيل البقع الملتصقة به · كانت تقوم بنوعين من التدريبات : تدريبات الرقص وتدريبات المطبخ والحمام ، وفى النوعين لم يكن أحد ليلتفت اليها ، وكأنه كتب عليها أن تعيش ولا تحيا ، أن تتواجد ولا توجد · انتصبت واقفة فارتطم رأسها بأسفل الحوض وهى الراقصة التى يتحتم عليها أن تتجنب أى ارتطام غير مقصود · دلكت رأسها بأصابعها دون أن تعبأ بالألم الذى كان صديقها منذ طفولتها المبكرة بعد أن رحلت جدتهـا التى كفلتها لتعود الى كنف أبيها وتعيش حياة الألم والذل ·

أسرعت سندس الى الحمام لتنظف بلاطه برشاقة سريعة وهى تتحرك منحنية كالفراشة بين أركانه التى تألقت ببريق المـاء الذى مسحته فبدا أكثر بياضا · وبمجرد أن دقت ساعة المدخل الثانية صباحا أطفأت نور الحمام والمطبخ لتندفع فى

ضوء المصباح السهارى الى غرفتها التى أغلقتها خلفها لترتمى على فراشها المظلم الناضح بالحرارة والرطوبة . شعرت بقطرات تبلل وسادتها فأدركت أنها دموعها المنسابة على وجنيتها .

تراقصت فى ظلمة الغرفة علامات استفهام طالما أرقتها دون اجابات شافية ! لكنها هذه الليلة تهاجمها بذيول محمومة تكاد تلسعها بسياط من نار ! احتضنت الوسادة بعنف اعتصرها ، وانكمش جسدها الرقيق الذى لا يعرف التمدد والاسترخاء فى الفراش مثل خلق الله !

جنون سندريللا يجتاح الجميع الذين يلهثون بحثا عنها ! هل هناك من يمكن أن يقوم بدور سندريللا أفضل منها وهى التى تشعر أن روحها تتقمصها برغم أنها تدرك أنها شخصية أسطورية لم توجد فى الواقع من قبل ؟! انها تكاد تكرر حياتها بحذافيرها ! ولحظاتها السعيدة الوحيدة هى التى تختطفها من الزمن عندما يخلو المنزل من الجميع فتسرع الى جهاز الفيديو لتتابع بجنون باليه سندريللا الذى حفظته عن ظهر قلب ، احساسا وحركة أمام المرآة التى طالما شهدت رقصاتها الأثيرية التى تكاد تتفوق فيها فى بعض اللمحات على الراقصة الأجنبية ! فالرقص فى نظرها احساس وتقمص قبل أن يكون أداء وحركة ! ومن يستطيع أن يحس بسندريللا ويتقمص شخصيتها مثلها ! حتى اسمها يكاد يتشابه مع اسمها !

أما أمير حلمى فأمره عجب ! لا يرى الا نفسه ولذلك

عاجز عن رؤية سندريللا الحقيقية التى يحاول البحث عنهـا فى مسابقة تجمع كل من هب ودب فى حين أنها أقرب اليـه مما يتصور ! انه أستاذ حقيقى ومتمكن وفضله لا ينكر على جميع أعضاء الفرقة الذين تعلموا وارتقوا درجات عديدة على يديه · لكن مشكلته أن ايمانه بنفسه تحول الى غرور قاتل أحاطه بجدران سميكة عالية جعلته يرسل ولا يستقبل ، يعلم ولا يتعلم ، يجيب ولا يســأل ! صحيح أن طموحه ليس له حدود ، لكن غروره يعميـه عن ادراك الامكانات الفعلية التى يمكن أن يحققه بها ! بل انه لا يعرف معظم أسماء أعضـاء فرقته · فهم فى نظره : هذا الولد وهذه البنت ! على أحسن الفروض ، أما اذا ساءت فهذا الغبى وهذه البقرة ! انهم أدواته أو درجاته التى يصعد عليها الى قمة الطموح والشهرة والمجد ، والصاعد لا ينظر الى الدرجـات تحت قدميـه حتى لا يتعثر ويسقط ! ومع ذلك فهو عاجز عن بلوغ القمة التى يحلم بهـا ليل نهار لأن الدرجات متحركة من لحم ودم وأفكار ومشاعر ، وليست مجرد مكعبات رخامية باردة أو حجرية ثابتة !

لا تتذكر سندس مثلا أنه نظر اليها ذات مرة نظرة تدل على أنه يدرك وجودها حتى على مستوى الشكل والمظهـر ! وحتى سحر التى عملت البدع ـ على حد قولها ـ كي تلفت نظره اليها لم تفز حتى بمجرد نظرة متفردة أو تحية خاصة !
نظره اليها لم تفز حتى بمجرد نظرة متفردة أو تحية خاصة !
فمثلا لم تأل سندس جهدا فى أن تثقف نفسها فى الرقص والباليه برغم حرب زوجة أبيها الشعواء التى شنتها عليهـا

والتي استطاعت بها أن تمنعها من مواصلة دراستها بمعهد الباليه لمجرد أن ابنتيها فشلتا في الدراسة وعجزتا عن اكمالها · لكن سندس لم تستسلم فقرأت كل شيء عن الباليه نظريا ومارسته في الفرقة عمليا برغم كل العوامل المثيرة لليأس والاحباط حولها · ومع ذلك لم تنجح ثقافتها وخبرتها في جذب انتباه أمير ! ذات مرة في أثناء البروفات اقترحت تطوير حركة كان يقوم بها أحد الراقصين أمام أمير الذي بدا عليه وكأنه لم يسمع شيئا على الاطلاق مما أثار ابتسامات سحر وسلوى المتشفية ! بعد ذلك قررت أن تكون مجرد راقصة متواضعة وسط المجموعات التي تؤدي الفقرات التي تختار لها ·

لم تحزن سندس كثيرا لحياتها التي أصبحت : محلك سر !! فالفرقة كلها ليست لها بطلة ، ولا تعتقد أنها ستكون لها بطلة طالما أن أمير حلمي هو بطلها ، ومخرجها الأوحد ، وصاحبها العبقري ، ومصمم رقصاتها ، ومؤلف فقراتها · ولا شك أن المسابقة التي سيجريها لاختيار سندريللا ستثير حفيظة كل أعضاء الفرقة الذين سيجدون أنفسهم مجرد خدم وحشم ووصيفات في بلاط الملكة القادمة من الخارج · ولابد أن تؤثر هذه الأحاسيس على آدائهم مما سيدخل بأمير في دوامة من الضيق والتذمر !!

لكنها لماذا تحمل هم أمير وهي التي لا يحمل همها أحد ؟! حتى أبيها !! لولا عالم الخيال وأحلام اليقظة لماتت مختنقة بكمدها ويأسها ! فاذا كانت قد فقدت الأمل فهي

لا تزال تملك الخيال . ولذلك فهى لا تؤمن بقول الشاعر : ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل الذى لم تتعلق به فى يوم من الأيام !! لكنه الخيال الذى كثيرا ما منحها فى خلوتها مع نفسها أجمل الأطياف الساحرة والأضواء المتدفقة والرقصات الحالمة ! انه مملكتها التى لا يستطيع مخلوق ـ مهما كان ـ أن يقتحمها دون اذنها ! حتى أمير نفسه كانت تسمح لـه بالدخول على أن يأتمر بأمرها ! كم تصورت نفسها سندريللا التى تدخل قصر الأمير كالفراشة الحائمة بأجنحتها الشفافة فتسحر الجميع بجاذبيتها الآسرة ! صحيح أن سندريللا التى يعرفها العالم شقراء ، ذهبية الشعر ، زرقاء العينين ، ناصعة البياض ، وهى خمرية اللون ، سوداء الشعر والعينين ، لكن اختلاف المظهر لا ينفى تقمص الجوهر !

فى الخيال أيضا استطاعت سندس أن تستولى على قلب أمير حلمى الشاب الأرستقراطى الثرى الذى ينتمى الى سلالة طويلة عريقة من البكوات والباشوات والذى تلقى تعليمه فى باريس ، وهى ابنة الرجل المكافح الذى بدأ حيـاته كومبارس فى السينما ثم عمل ريجيسيرا يقوم بتوريد أفراد الكومبارس للأفلام ثم بلغ منتهى أمله عندما أصبح وكيلا للفنانين فى اقامة الحفلات والعروض والمهرجانات . تمامـا مثلما أحب الأمـير سندريللا برغم بؤسها واتضاعها !

استرخت سندس بعض الشىء فى الفراش وقد أغمضت عينيها على خشبة المسرح الغارقة فى طوفان الأضواء الخضراء

والصفراء والحمراء لترى أمير حلمى فى ثياب الأمير المزركشة الموصعة بالجواهر وهو يلهث خلفها فى هرولتها الى الخـــارج وسقوط حذائها على درجات السلم المغطى بالبساط الأحمـــر بعد آخر دقات الساعة الثانية عشرة عند منتصف الليل حين ينتهى السحر الذى وعدتها به الساحرة لخطف قلب الأمير ·

كان حلمها الأثير فى لحظات اليقظة قبل تسلل النوم الى جفونها . وكثيرا ما زارها بين طيات أحلامهـــا المتماوجة حتى الفجر لتسعد باسترخاء جسدها فى فراش يكاد يحتويهـــا بنظرات أمير المشعة بنور الحنان !

★★★

(٣)

انتهت المسابقة التى استغرقت أسبوعا كاملا وسط لهفة أعضاء الفرقة وترقبهم وتشفيهم فى النهاية عندما فشل أمير فى العثور على ضالته المنشودة · تقدم للمسابقة أكثر من ألف فتاة من مختلف الأوساط والطبقات ، وترك أمير التصفيات الأولى لمساعديه وفى مقدمتهم عماد · تولوا اختبارات اللياقة والثقافة والمؤهل حتى تناقص عددهن الى مئة ، قـــام أمـير شخصيا باختبارهن وقد تجمع حوله أعضاء الفرقة فى قلـق واضح وكأنهم هم الذين يخوضون التصفية النهائية ·

ولم يكن أمير يقل عنهم قلقا وضيقا ويأسا فى النهاية · فالهاويات اللاتى تقدمن تصورن أن الجمال يغنى عن الرشاقة ، والدلال يغنى عن الخبرة ، والميوعة عن الجدية · أما الدارسات من خريجى معهد الباليه فكن شبه متمكنات من الأداء لـكن

عاجزات عن الابهار · فالفن فى نظر أمير ابهار أولا وأخيرا · وكان المقياس أو الشرط الذى وضعه لمن تفوز بدور سندريللا أن تهزه من الأعماق كما هزت سندريللا الأمير فى الأسطورة فاذا عجزت عن ذلك فسوف تعجز بالتالى عن هز الجمهور والتحليق به فى أجواء السحر وأطياف النشوة · وسقوط أوبريت مثل سندريللا لن يعنى سوى القضاء على مستقبله بعد أن ملأ الدنيا ضجيجا بالمسابقة التى عاد منها بخفى حنين ·

لم يجد أمير مناصا من أن يعلن فى الصحف عن فشله فى العثور عن سندريللا ، وأنه قرر أن يعود الى استعراضاته الغنائية والفكاهية والراقصة وفى الوقت نفسه سيواصل البحث الدءوب لتحقيق حلم عمره وحلم الجماهير التى احترمت صراحته ودقته فى اختيار بطلته · فهو ليس من الفنانين الذين يقعون فى غرام أية فتاة جميلة فاذ بهم يفرضونها فرضا على الجمهور · بل ان أحدا لا يعرف شيئا عن الفتاة أو الفتيات اللاتى خفق لهن قلب أمير الذى يبدو أنه يخفق فقط للعمل الفنى العظيم ، اذ يبدو أن جنون الفن قد ملأ عليه حياته ووجدانه فلم يترك مكانا شاغرا لجنون الحب بدليل أن الفرقة زاخرة بالجميلات الساحرات الفاتنات اللاتى فشلن جميعا فى جذب انتباهه · فهن فى نظره مجرد أدوات أو آلات يعزف عليها ألحانه الراقصة ·

عاد أمير الى اجراء بروفات الاستعراضات الجديدة التى صممها مع عماد الذى لم يخف عليه الروح المعنوية الهابطة التى



نضحت على نظراته فأطفأت بريقهـــا الأخضر الحبيب الى كل القلوب ، وأثقلت حركاته ففقدت حيويتها التى طالمـا مـلات المكان بالصخب والحياة · كان يتابع فقرة « الغازية » التى فازت سحر ببطولتها فلم يؤثر احباط أمير ويأسه على فرحتها التى تراقصت فى عينيها موحية اليها أنهـا مجـرد خطوة فى الطريق الى سندريللا ·

نهض أمير ليطلب منهـــا أداء أكثر عنفا وسخونة وفى الحال نفذت أوامره ظنا منها أنه وهو يمسك بيدها قد اقتربت من قلبه ، لكنه نظر الى عماد قائلا بصوت خفيض لم يألفه أحد من قبل :

ــ أكمل أنت البروفا ·· سأذهب الى مكتبى لاجـــراء بعض المكالمـات التليفونيـــة والحصــول على بعض الراحـــة والاسترخاء !

تألقت نظرات عماد التى لم تخل من التشفى صـــوب سحر التى فقدت قوة الدفع داخلها بمجرد استماعها الى كلمات أمير ورد عماد :

ــ أمرك يا أستاذ !

سار أمير فى هدوء غريب وسط نظرات الجميـــع التى تعلقت بعينيه الخابيتين والشعيرات الصفراء النابتة فى ذقنه على غير العادة حتى اختفى بين الكواليس هابطا على الدرجات المؤدية الى الممر الذى يقع عليه باب مكتبه · لكنه وقف فجأة

وكتم أنفاسه كمن أصابه مس من السحـــر ! كانت سندس تقوم بتدريب نفسها على أداء فقرة « بنات بحرى » التى اختارها عماد لها منذ يومين فقط ، وكانت خائفة أشد الخوف لاحساسها الدائم بالحرج أمام أمير مما جعلها تتعثر فى بعض الأحيان فتنهال عليها لعنات أمير برغم أن دورها دائما لم يكن ملفتا لنظر الجمهور لأنها غالبا ما تكون مختفية أو شبه مختفيـــة وسط فتيات المجموعة الراقصـــة ٠ أما انسيابها التلقائى فى التعبير الراقص أو الرقص التعبيرى فكان ابداعها فيه فى خلوتها أو أمام المرآة ٠

التصقت قدما أمير بالدرجة الثانية على السلم الخشبى وقد اختفى خلف احدى ستائر الكواليس لكن عينيه تابعتـا لوحة السحر الراقص الذى أصابه بنشوة دغدغت أعصابه فظن أنه حلم يقظة ٠ كانت سندس قد انتهزت فرصة خلو المستطيل الموازى لأسفل خشبة المسرح لانشغال الجميع بمتابعة فقرة « الغازية » فوق الخشبة ، وانهمكت فى تقمص شخصية بنت بحرى بكل دلالها وأنوثتها التى تكاد تتكلم بحركات أصابعها ، وخطوات ساقيها ، وايماءات عنقها ، واهتزازات رأسها داخل رداء أبيض قصير خفيف متدفق مع تماوجات جسدها الرقيق الذى يكاد يطير بها وسط جدائل شعرها الأسود الطـــويل الناعم اللامع المتناثر فى الهواء حينا ، وحول عنقها ووجههـــا وكتفيها وصدرها وظهرها أحيانا أخرى ٠ لم تكن حركاتهـــا تدل على قوة بنت بحرى وجرأتها بقدر ما تنم عن رقة وعذوبة أميرة تراقص أميرها فى دورات كهبات النسيم العليل وذفقات

كموج البحر الباسم · كانت جفونها شبه مسدلة وكأنهـــا تركت وجنتها على كتفه لتنعس عيناها وهى تدور معه وسط ردهات القصر المسحور · كل هذا السحر برغم ضجيج موسيقى الغازية الصاخبة بين جنبات المسرح والطافحة على كواليسه ·

فى احدى دوراتها الصاعدة الهابطة رفعت جفنيها فلمحت شبح أمير وقد خرج من بين الكواليس ليقف أمامها مشدوهـا دون أن ينبس ببنت شفة · شهقت وهى تتوقف فجأة لتتحول الى تمثال من رخام خمرى · لم يكن أمير قادرا على أن يخفى نفسه أكثر من هذا بين الكواليس ، فهبط على الدرجـــات المتبقية ليقف قبالتها وابتسامة لم يرها أحد من قبل تفترش وجهه وهو يهمس فيما يشبه النشوة :

ـ لماذا توقفت ؟! استمرى !!

تلعثمت فخرج صوتها مبحوحا مرتعشا :

ـ كنت أقوم بالتسخين ·· مجرد التسخين للبروفا !!

همس وكأنه يخاطب نفسه فى عتاب متسائل :

ـ فى فرقتى كل هذا الابهار ولا ألحظه ؟!

لم تصدق سندس أذنيها فنطقت بكلمات لا تمت للموقف المتفجر بصلة :

ـ اذا كنت قد ضايقت سيادتك ولم أنفذ التعليمات فأنا آسفة ؟!

مد يده ليمسك بذراعها فجفلت فى خوف لكنه تشبث بها متسائلا :

ـ خائفة منى ؟!

أوشك لسانها على الالتصاق بسقف حلقها لكنها أجبرته على النطق :

ـ تحت أمر حضرتك !

ـ هيا معى !

استسلمت ذراعها تماما لأصابعه التى تراوحت بين الرقة والعنف وهو يصعد بها على درجات السلم مخترقا الكواليس الى قلب المسرح حيث سحر المنهمكة فى رقص الغازية على ايقاعات الطبلة والرق لعازفين يتصببان عرقا · لم يشأ أمير أن يقطع البروفا لكن وقفته ممسكا بذراع سندس شد اليهما الأنظار بخيوط غير مرئية شعرت بها سحر فالتفتت هى الأخرى الى المشهد الفريد فتوقفت دون تفكير مع الصمت الذى أطبق على دقات الطبلة والرق ، وكتم الأنفاس المتعلقة بالعيون المتسائلة ، حتى أنفاس سحر اللاهثة التى اجتاحها خاطر أوحى اليها بفعلة شنعاء جعلت أميرا يقبض على سندس ويقتادها لفضحها أمامهم على الملأ · ابتسمت سحر تحت وطأة موجة عارمة من التشفى المتبادل مع نظرات سلوى ·

جلجل صوت أمير وقد أفترشت وجهه ابتسامة مشعة بخضرة عينيه التى أصابت سحر وسلوى بحرقة :

ـ اوقفوا كل البروفات ! الحمد لله ·· أخيرا عثرت على سندريللا !

شهقت سحر ودقت سلوى على صدرها فى حين انتفض عماد واقفا وهو يقترب من أمير قائلا :

ـ لن أقبلك مهنئا الا اذا رأينا الدليل العملى !!

ـ ألا تصدقنى ؟!

ـ العفو يا أستاذ الكل !! لكن ما تقوله أشبه بالأحلام !!

ـ ومن الآن فصاعدا سنقدم الأحلام الوردية لكل الناس ! اذهب الى مكتبى واحضر الشريط المسجـــل عليــه موسيقى سندريللا !

انحنى عماد فى حركة مسرحية مرحة :

ـ سمعا وطاعة مولاى الأمير !

وانطلق عمـــاد فى خفة ليترك التراشـــق بين النظرات على أشده ، لكن أميرا لم يهتم الا بكنزه الذى عثر عليه · لاحظ الحيرة والقلق والحرج والتردد على سندس فربت على كتفها :

ـ الراقصة تقدم فنها لامتاع الآخرين وليس لمجـــــرد اشباع نفسها فقط !

همست سندس وهى تشـــعر بسهام النظرات النارية تخترق جسدها الرقيق من كل جانب :

ـ لم أستعد لمثل هذا الموقف ؟!

ـ الفنان القدير يجيد الدراسة والتصميم كما يجيـــد التلقائيـــة والارتجال ! وأمير حلمى لا يتراجع فى خطـــوة اتخذها !! وأنت هذه الخطوة !!

كانت سحر أذانا صاغية غارقة فى المرارة لا تكاد تصدق ما تسمع ! أو شكت أن تقول له انها أتفه راقصة فى الفرقة لكنها عجزت عن فعــل أى شىء ســوى التحــديق فى أمــير وسندس لعل الأمر لا يعدو مجرد شطحة مجنونة من شطحات أمير لا تلبث أن تنقشع · وها هو عماد قد عاد ومعه شريط سندريللا لنرى العبقرية التى هبطت عليها فجأة من السماء ·

وضع عماد الشريط فى جهاز التسجيل الضخم وأداره فجلجلت الموسيقى التى سرت فى بشرة ســـندس بقشعريرة كهربية تعرف سرها جيدا · غـــاب الحاضرون عن وعيها · أغرقت الألحان المنهمرة أذنيها ولم تعد ترى سوى ارتعاشات سندريللا تنبض فى عروقهـــا فتحـــرك ساقيهـــا وتـــدور بذراعيها ·

تراجع أمير الى الخلف ليستأثر بمقعده فى محيط الدائرة الملتفة بالعيون الجاحظة والأنفاس المبهورة حول سندس التى انسابت كالسابحة بين موجات الأنغام المتدفقة فى هبوط ناعم أحيانا وفى صعود عارم أحيانا أخــرى · تقدمت سندس على أطراف أصابع قدميها ثم تراجعت لتميل بجذعهـــا ذات اليمين

واليسار ولتتماوج ذراعاها فى عكس الاتجاه ، فى حين بدا شعرها الأسود الطويل اللامع الناعم شلالات من السحر الأسود ، منسابة على جيدها وظهرها أحيانا ، وهادرة على عنقها وصدرها أحيانا أخرى ٠

تحولت المرارة فى عيون سحر وسلوى الى كابوس حى وهما تتابعان النشوة التى أسكرت حواس أمير والعيون التى لم تعد ترى سوى سندس التى أوشكت أن تطير وتحلق بين جنبات المسرح !! ما الذى فعلته ليكتشفها أمير هكذا !! كيف خلبت لبه بهذا الاسلوب وهو الذى ترك البروفا ناقما على كل من حوله ؟! هل ذهبت الى عرافة ماهرة لتعمل له العمل الذى لا يخيب ؟! هل ستكون سندس نجمة الفرقة المحلقة فى سماء الفن أم ستهبط عليها صاعقة تحيلها الى تراب متناثر ؟! هل ستتوثق علاقتها بأمير حتى تفوز بقلبه كما فازت بعقله ؟! هل ما يحدث الآن واقع راسخ أم مجرد كابوس لا يزال أن ينقشع ؟!

اجتاحت هذه الأسئلة سحر وسلوى فأصابتهما بشلل عقلى برغم لسعات المشاعر السارية فى عروقهما كماء النار ، أما الآخرون وفى مقدمتهم أمير فتركوا عيونهم ومشاعرهم وآذانهم لتجتاحها سندس التى عزفت عليها بكل حركة وايماءة وانطلاقة تدفقت من جسدها الذى توحد مع الموسيقى فلم يعرف هذا من تلك ! كانوا يرونها لأول مرة اذ أن سندس الحالية لا تمت بصلة الى تلك الفتاة الحزينة ، المنطوية ، المندسسة

وسط المجموعات الراقصة ، والتى لم يكن يشعر أحد بوجودها .

لكن سحر وسلوى لم تتوقعا أن تكون الطعنة النجلاء التالية بهذه السرعة ، اذ نهض أمير وقد امتشق قوامه كالسيف ليتقدم بنفس ايقاعات الأقدام وتماوجات الأذرع ولكن فى وجولة ساحرة ليدور حول سندس وكأنه الأمير يرحب بسندريللا فى قصره وسط دهشة الحاضرين لهذه الفاتنة الغامضة التى أتت من المجهول . لم تحتمل سحر ما يعتمل فى صدرها من حمم فائرة فمالت على أذن سلوى :

ـ هل تصدقين ما يجرى ؟!

ـ المسألة ليست مجرد تصديق أو تكذيب !! المسألة الآن : ما الذى يجب علينا أن نفعله اذا كان هناك ما يمكن عمله ؟!!

ـ أمير لا يعرفها كما نعرفها نحن !

ـ لابد أن نقول له كل شىء !!

ـ قبل أن تقع الفأس فى الرأس !!

وضعت سندس يدها على كتف أمير الذى احتوى خصرها بذراعه وهو يدور بها فى صعود وهبوط كأمواج البحيرة البلورية الصافية المشعة بالسحر والموسيقى الصادحة وسط الأطيار المغردة . مرت اللحظات كأقدام الرصاص على أنفاس

سحر وسلوى اللتين أوشكتا على الاختناق فى حين طـارت اللحظات نفسها كالبرق الذى يضىء فى الظـلام فيكشف عن أشياء مبهرة للعيون والنفوس المتابعة للزهرتين المتراقصتين مع هبات الموسيقى · لم تشبع العيون من اللوحة الأثيرية لكن الموسيقى هدأت من ايقاعها ايذانا بالنهاية ومعها شرعت حركات سندس وأمير فى الهدوء حتى بلغت وقفة الختام مع انتهـاء الموسيقى وسط الأكف التى التهبت بالتصفيق وهجوم الفتيات اللاتى احتضن سندس وسط دموع الفرح الساخن والقبلات المهنئة بالنجاح والمستقبل الباهر ، فى حين أحاط الراقصون بأمير ذاهلين للدموع التى طفرت من عينيه لأول مرة وعمـاد يقول مداعبا بصـوت متهدج :

ـ لا يزال زيتنا فى دقيقنا !! فى فرقتنا نجوم تملأ سماء الفن فى مصر والعالم العربى !

استرد أمير أنفاسه وصاح بصوت رنان :

ـ غدا ·· نبدأ توزيع الأدوار فى بروفات سندريللا ·· الافتتاح بعد شهر على أكثر تقدير !!

ثم احتوى كتفى عماد بذراعه :

ـ وأنت يا عماد ·· عليك بدعوة الصحفيين غدا ·· ومقدمى البرامج الفنية فى الراديو والتليفزيون ·· أريد أن يرى العالم كله اكتشافى !!

انحنى عماد مداعبا :

ـ سمعا وطاعة مولاى الأمير !!

كانت رنة الفرح والانتصار فى نبرات أمير طعنات خنجر مسموم فى صدر كل من سحر وسلوى · لقد عادت اليه عنجهيته أضعافا مضاعفة كأنه اكتشف أمريكا · ظلتا فى وقفتهما تتابعان العواطف الجياشة الهادرة فى حسرة دون الاجتراء على الاندماج ، ونظراتهما الملهوفة ترصد سكنات وحركات أمير الذى أسرع الى مكتبه ، وسحر وسلوى فى أعقابه دون تفكير ·

دخل أمير مكتبه رافعا يده على وشك ادارة قرص التليفون لكنه فوجىء بسحر وسلوى تسدان الباب خلفه · استدار ليرتكن بظهره الى حافة المكتب متسائلا فى دهشة لم تخل من استهجان :

ـ نعم ؟!

تلعثمت سحر وهى تتبادل النظرات الحرجة مع أختها ثم اندفعت بكلمات متشابكة متداخلة فى بعضها بعضا لكنها حرصت على وضوحها قدر الامكان :

ـ أستاذ أمير ·· نحن لا ننسى أبدا أفضالك علينا ·· فلم نتعلم الفن الا على يديك ·· وهذا يلقى علينا مسئولية جسيمة تجاه سيادتك ·· صحيح أن سندس أختنا ونحب لها الخير ·· لكننا نحبك أكثر ونخاف عليك أكثر !!

لم يخف على أمير نواياهما فقال فى حسم :

- تكلمى فى الموضوع دون مقدمات ! ليس عندى وقت !

كانت سلوى قد شحنت نفسها فلم تنتظر أختها :

- سندس لا تعترف بجميل أحد عليها ! وهى أول من يعض اليد التى تمتد لمساعدتها وانقاذها !!

ضم أمير ذراعيه على صدره :

- ماذا تريدان بالضبط ؟!

جرت سحر دون أن تدرى بأصابعها على شعرها المائل الى الاحمرار :

- ليست لى أن أتدخل فى عمل سيادتك .. لكن العالم أجمع يعلم أن سندريللا كانت بيضاء البشرة .. ذهبية الشعر .. خضراء أو زرقاء العينين .. وردية الوجه .. وسندس سوداء الشعر والعينين وخمرية اللون !

سألها أمير فى سخرية زاخرة بالمرارة والاستهزاء :

- ومن ترشحين لى لأداء دور سندريللا !!

تدخلت سلوى لانقاذ أختها من دوامات الحرج التى أغرقتها :

- ليس لنا أن نتدخل فى عمل سيادتك !

- وبماذا تسميان ما تفعلانه الآن !!

أجابت سحر والاحباط يكتم أنفاسها :

ـ لم نأت الى هنا الا بدافع من خوفنا على سيادتك ٠٠ فأنت أهم عندنا ألف مرة من اختنا !

أضافت سلوى وهى تضغط على نبراتها :

ـ علاقة التلمذة على يديك أقوى ألف مرة من علاقة الدم بها !

ـ أشكر لكما نصيحتكما الذهبية ٠٠ وسأحاول أن أعمل بها فى المستقبل !!

سرت نبراته الساخرة مسرى الدم المسموم فى عروقهما فقالتا بصوت واحد :

ـ شكرا !!

واستدارتا لتخرجا لكن صوت أمير الحاسم كان فى أعقابهما :

ـ وستقومان بدورى أختى سندريللا غير الشقيقتين !! لم تملكا سوى أن تقولا :

ـ تحت أمرك !

وخرجنا لتصطدم أسماعهما بضجيج الفرح المنتشى المحيط بسندس فوق منصة المسرح فى ليلة خرجت عن نطاق الزمن !

(٤)

انطلقت ســــندس كشهاب اخترق الغلاف الجوى ليبهر كل من رأوه من النقاد والصحفيين والاعلاميين وأهل الفن ٠ حاولت زوجة أبيها مع ابنتيها اعلان الحرب عليها فى البيت لعلها تفقد أعصابها وتضعف من روحهــا المعنوية مما يؤثر بالتالى على آدائها فى البروفات ، لكن قوة الدفع الصاروخية التى اكتسبتها جعلت من حولها يلهثون فى أعقابها ٠ وبرغم أن فرحة أبيها بانتصـــارها كانت أكبـر من أن توصف ، فلم تلجأ اليه حتى يدرأ عنها حملات زوجة أبيهـــا وأختيها عليها ٠ كانت تشعر داخلها بقوة يمكن أن تدك بها الجبال ، قوة لم تعرف إذا كانت قد اكتسبتها من دفع أمير لها أم أنها كانت كامنة فيها وانطلقت بحممها كالبركان عندما رفع أمير الغطاء عنها ؟! ومع ذلك لم يصبها الغرور بل كانت تعـرف

موقع خطواتها جيدا ، وتضاعف من اتقانها وتمكنها يوما بعد يوم برغم كل الأضواء التى أحاطت بها استعدادا لحفل الافتتاح ·

كانت سندس تعذر زوجة أبيها وأختيها لأنهن لم يتوقعن أن تكون الكارثة التى حلت بهن بهذا الحجم الفادح · لم يتوقف الأمر عند حدود قيامها ببطولة الأوبريت ، بل امتد الى اعجاب أمير التدريجى والخفى بها · وهو اعجاب لم يخف على سحر وسلوى فى أثناء البروفات : الكلمات ، النظرات ، الحركات ، الايماءات ، الابتسامات ، الضحكات ، كلها تؤكد أنه قد أصبح أسيرها وهو الذى لم يعر أسراه أدنى التفات فى الأيام الخوالى - والظاهرة الجديرة بالتسجيل أنه كلما اشتعلت نار الحقد داخل سحر وسلوى فى أثناء البروفات، زاد اتقانهما للأداء التمثيلى والراقص مما ساعد سندس على التفوق الذى لم تتصور أنها يمكن أن تحققه بهذا التمكن · على حد قول أمير لها ذات مساء بعد أن فرغوا من البروفا :

- لم ولن يوجد العمل الذى يعيش فيه الأبطال أدوار حياتهم مثل هذا العمل !!

كانت سعادة سندس بهذا التصريح لاتحد ، اذ أنه كان يلعب أمامها دور الأمير الذى وقع فى غرام سندريللا · وكانت كل الشواهد تؤكد على أنه منطلق اليها بنفس سرعة انطلاقها اليه ، بل كانت متعته كل ليلة أن يقوم بتوصيلها فى عربته البيضاء الفارهة الى بيتها ، وهما يتبادلان أحاديث

المستقبل المشرق . بل ان تشبث يده بيدها وهو يودعها كل ليلة عند باب بيتها ، قال لها أشياء كثيرة ومثيرة يعجز اللسان عن النطق بها .

هذه العربة البيضاء الفارهة التى كثيرا ما حلمت فتيات الفرقة بركوبها مع أمير ، تركبها معه الآن كل ليلة فى حين تعود سحر وسلوى فى عربة عماد الذى بدا وكأنه يتصدق عليهما فى شيء من التشفى برغم محاولات سحر لاقامة الجسور بينهما بعد ضياع أملها فى أمير . ومع ذلك كانت أمهما تصر على أن دوام الحال من المحال ، فالفارق بين أمير وسندس هو الفارق بين السماء والأرض ، بين الأمير والخادمة . وما يجرى فى الزوايات يختلف تماما عما يجرى فى الحياة ، فليست الأمور بالبساطة التى تتصورها سندس . وما يحدث الآن مجرد حلم لابد أن ينقشع بمجرد طلوع النهار وشمسه الحارقة !

استراحت سحر وسلوى بعض الشيء لآمال أمهما وتوقعاتها المتفائلة ، لكنه احساس سرعان ما كان يتلاشى كلما رصدا التقارب المتصاعد الحميم بينهما ، مما جعلهما تركتان فى النهاية الى أحلام العجز التى تصور لهما مصيبة ستحل بها قبل الافتتاح : كسر ساقها مثلا أو عمودها الفقرى أو اصابتها بشلل كلى أو حتى نصفى أو وقوع حادث تصادم لها أو أى شيء من هذا القبيل يمنعها من الصعود على خشبة المسرح ! ربما حطم هذا الأمل الفرقة كلها اذ لايوجد لها بديل

على عكس الادوار الأخرى التى يمكن أن يقوم بأى منها أى راقص آخر اذا تغيب صاحبها ، لكن على وعلى أعدائى اذا بلغت الأمور هذا الحد !!

لكن ليلة الافتتاح كانت ليلة من الف ليلة ! غرقت واجهة المسرح ومدخله فى طوفان من الأنوار الفضية والحمراء والخضراء والذهبية والبلورية حيث تتابعت العربات الفاخرة التى هبطت منها الوجوه النضرة ، والعيون المتألقة ، والعطور الفيحاء ، والأزياء المرصعة بالمجوهرات ، والأيدى المشعة بوميض الماس ، والحلل الفاخرة التى ذكرت أميرا بأمجاد الأوبرا العريقة التى احترقت • كانت حركة المرور على وشك أن تتوقف أمام المسرح لزحام السيارات والجماهير التى تكاكأت على الطوارين كى تمتع البصر بمشاهدة نجوم المجتمع •

أما فى داخل المسرح فكانت سندس فى غرفتها وقد ارتدت زى سندريللا وجلست بمفردها فيما يشبه الصلاة الصامتة وهى تنظر من حين لآخر الى المرآة الكبيرة أمامها فترى وجهها الرقيق الدقيق وقد ضاعف المكياج من تألق عينيها السوداوين الواسعتين • أخيرا حلت الليلة التى طالما حلمت بها ، لكنها لم تكن تدرك أنها مخيفة بهذا الشكل المرعب • فهى التى سوف يفتح عليها الستار لتقدم الفصل الأول بأكمله حيث تستعد زوجة أبيها مع ابنتيها لمغادرة البيت لحضور حفل الأمير وبعد ذلك تعبر بالرقص عن حزنها وبؤسها

ووحدتها حتى تظهر لها الساحرة التى ستساعدها على اللحاق بهن الى حفل الأمير ٠

سمعت دقات على الباب الذى فتح ليدخل أمير فى زى الأمير فزاد بهاء على رواء ، وسامته الساحرة وعيناه الخضراوان وشعره الذهبى وبشرته الناصعة البياض ، اسم على مسمى ، لكن حركته لم تخل من عصبية وهو يبتسم لسندس :

ـ الليلة عرسك ٠٠ ليلة زفافك الى المجد !

نهضت فى خشوع وهى تقول فى همس مبحوح :

ـ كل هذا بفضل الله وبفضلك يا أستاذ أمير !

أمسك يدها وقبلها برغم محاولتها سحبها من يده :

ـ أمير فقط !

ومضت عيناها ببريق ساحر :

ـ أنت أستاذ الكل !

ـ ربع ساعة على رفع الستار ! تذكرى ٠٠ الشحنة الأولى التى ستدخلين بها المسرح هى الانطبـــاع الأول عند الجمهور ٠٠ والانطباع الأول هو الباب السحرى لقلبه ٠٠ فاذا تمكنت من هذا القلب فلا تتركيه الا وهو صريع هواك !!

تألقت بوادر دموع فى عينيهـــا اذ شعرت أنه يدرك

جيداً مبلغ رهبتها ، ويحاول بهذه الكلمات أن يشحنها بأقصى طاقاتها • أضاف مداعبا :

ـ كنت أتمنى أن أكون معك فى الفصول الأربعة •• لكن ماذا أفعل ودورى قاصر على الفصل الثانى والرابع ؟!

ـ أرجو أن أكون عند حسن ظنك !!

ـ هـل تظنين أننى اخترتك لأننى كنت سيىء الظن بك ؟! ما يهمنى ويهمك الآن أن تكونى عنـــد حسـن ظن الجمهور !! عن اذنك !!

ثم تركها وخرج لتقوم بعملية تسخين لرقصات الفصل الأول أمام المرآة فاطمأنت الى قدراتهـــا برغـم ذلك الخوف الغامض السارى داخلها ! هربت من وحدتهـــا ومخاوفها نائمة على قدم وساق لرفع الســـتار الأحمر العمـــلاق الذى لم يمنع أصوات الجمهور المتناثرة من بلوغ المنصة •

نظرت سندس من انفراجة الســتار بجوار الكواليس فلم تجد مقعدا شاغرا • تذكرت يوم امتحنتها لجنة من ثلاثة أعضاء فى معهد الباليه الذى لم تكمل فيه دراســتها برغم تفوقها بسبب الحرب الشعواء التى شنتها عليها زوجة أبيها ، الليلة لجنة الامتحان لاتقل عن ألف عضو ، لكنها مصرة الآن على مواصلة الصعود حتى القمة بعد أن ردت الحرب الأخيرة ضدها الى نحر زوجة أبيها وابنتيها •

صدحت الفرقة الموسيقية أسفل المسرح بافتتاحية سندريللا فأسرعت سندس لتقبع على مقعد خشبي متواضع وسط ديكور لمطبخ عريق · وضعت رأسها بين يديها فيما يشبه البكاء الصامت وقد سلطت عليها بقعة ساطعة من الضوء الأبيض في حين غرقت المنصة ومعها القاعة في ظلام دامس والستار ينفتح تدريجا لتنهض سندس بعد لحظات لتؤدي رقصة تعبر بها عن وحدتها ومخاوفها وهواجسها التي تشعر بها فعلا · وتنساب معها الموسيقى هادئة حزينة مستسلمة الى أن يقطعها دخول زوجة الأب وابنتيها اللتين توحي خطواتهما وحركاتهما بنشوة السعادة لذهابهما الى حفل الأمير في حين تأمرها زوجة أبيها بغسل الصحون وتنظيف أرضية المطبخ والحمام وتجهيز الطعام للغد · ثم تنصرفن في حين تنتاب سندريللا رعشة تسري في ساقيها وذراعيها وتسري بها الى جوار المدفأة التي تلقي في جوفها بالمزيد من قطع الخشب حتى تتوهج نيرانها التي تشع بلونها الأحمر على وجه سندريللا وردائها الخفيف المتواضع ، وبدفئها في جسدها الرقيق الدقيق فتنطلق في رقصة منتشية بالدفء وتتكالب عليها الأضواء الفضية والذهبية والحمراء والصفراء من كل أرجاء المسرح الصادح بالموسيقى الزاخرة بالنشوة والشجن في آن واحد · لكن الأضواء تخفت لتتلاشى مرة أخرى مع الموسيقى التي تراجعت الى أصداء هامسة مع دوران سندريللا الذي تباطأ وتراخى في ساقيها المرتعشتين بنحيب اليأس صوب المقعد المجاور للمدفأة حيث كمنت طلبا للدفء

وهربا من الضيق والوحدة السارية داخلها ببرودة ثلجيـــة تشبه قطع الثلج المتساقطة على زجاج النافذة من الخارج مثل ندف القطن الشهباء ٠

كتم الجمهور أنفاسه كأن على رءوسه الطير ، فى حين قبع أمير ومساعدوه بين الكواليس يتابعون المعركة التى تقودها سندس بمهارة جعلت سحر وسلوى الواقفتين معهـــم على وشك الاغماء يأسا وقنوطا من تلك المتكالبة بأسنانها على فرصة عمرها لاتريدها أن تفلت منهـــا بأى ثمن ، بدليل أن الجمهور أصبح طوع بنانها ٠

تمطت وتثاءبت على مقعدها فى حركات راقصة كأنهـا تحاول أن تجلب النعاس الى جفونها المجهدة لكنـــه يهرب من ذراعيها الممدودتين فى توسل ملح لعله يعطف عليها ٠ خفت الأضواء الى أن تتلاشى فلا يتبقى سوى بقعة الضـــوء الفضية المسلطة على سندريللا فى جلستها المنكمشة ووهج المدفأة الأحمر بألسنته المتراقصة نيابة عن سندريللا التى انحنت على مقعدها الخشبى المنخفض فى استســـلام كامل للأقدار التى تتراقص بها دون وجهة محددة فى هذا الوهج الذى يعشى الأبصار ٠

كانت سندس فى جلستها المنحنية تختلس النظر من حين لآخر الى الجمهور الذى أصبح طوع بنانها كما قال لها أمير فأحست بقوة خارقة صورت لها امكان طيرانهـا بين أرجاء المسرح ٠ مدت يديها الى ألسنة النيران المتوهجة طلبا

للدفء فاذ بالألسنة تتشكل على هيئة امرأة عجوز نحيلة القوام تمسك بيمناها عصا كذراع المكنسة ، شهقت سندريللا وقفزت ناهضة على ساقين تسابقان الريح وتدوران بها كدوامات الريح فى الخماسين ، ثم تتوقف فجأة لعل ماتشاهده مجرد حلم ، لكن رعبها يزداد وارتعاشتها تتضاعف مع ايقاعات قادمة من أعماق مجهولة عندما تخرج المرأة من المدفأة فى حركات بطيئة لكنها مرحبة بسندريللا فى بشاشة واضحة ٠

تعود سندريللا الى الدوران الطائر الحائر هربا من الكابوس الحى لكن الساحرة تصر على مطاردتها وسط ضحكات مرحة ممتزجة بايقاعات الموسيقى التى تخلت عن وقارها لتنطلق فى شقاوة ودعابة جعلتا سندريللا تطمئن الى هذه العجوز المرحة الضاحكة التى انطلقت تغنى كالأطفال:

ـ أخبرتنى عصافير المدينة

بحكايتك الحزينة ٠٠

فأتيت لأنقذك من محنتك ٠٠

فما تفعليه ليس مهنتك ٠٠

والله لاينسى انسانا ٠٠

فى هذه الدنيا مهما كان !!

اقتربت سندريللا في حذر متردد من الساحرة العجوز لتسألها :

ـ ولماذا تعطفين على أنا بالذات ؟!

عادت الى الغناء مع موسيقى كتغريد العصافير :

ـ خلق الله الانسان

كى يحب الانسان الانسان

في كل زمان ومكان !

الحب دستور الكون البديع

لايعرفه أسرى الحقد المريع !

انطلقت سندريلا ترفرف كالعصافير وتغرد :

ـ حمدا لله ·· شكرا لله ·· لم ينس مخلوقته المسكينة !

ابتسمت الساحرة لكنها غنت في حسم :

ـ ليس هناك وقت للضياع في هذه الليلة ··

عليك أن تحضرى حفل الأمير هذه الليلة ··

فلقد صنعت لك الأقدار مصيرا جديدا هذه الليلة !!



ـ وكيف أذهب بهذه الملابس الرثة الى حفل الليلة ؟!

رقصت الساحرة بالعصا أمام السنة الوهج المتأجج فاذ بالعصا تدور فى الهواء برداء أبيض مرصـــع بجواهر ذات بريق يعشى الأبصار ، ويهبط على سندريللا فتجد نفسها ترفل فى جمالها البهى وهى لاتكاد تصـــدق عينيها فتقفز وتدور حول الساحرة فى ايمـــاءات وانحنـــاءات العرفان بالجميل لكنها تتوقف فجأة متسائلة :

ـ وهل أذهب حافية القدمين الى حفل الليلة ؟!

دارت عصا الساحرة عدة دورات حول سندريللا التى وجدت فجأة عند قدميهـا حذاء بللوريا يلمع ويومض كأنه صنع من نور ! تنحنى سندريللا لتلبسه فى قدميها وعندما تنهض تحس بشىء كلل شـعرها فتهرع الى المرآة الصغيرة المكسورة على رخام المدفأة فتشهق لرؤية التـاج المرصـــع بالماس والياقوت والعتيق • غرست أظافرها فى كفيهـا كى تتأكد أنها لاتحلم فصرخت من الألم والســاحرة تتابعهـا فى دعابة ضاحكة •

تأملت سندريللا جمالهـا المبهر فى المرآة فوجدت يسراها تحمل باقة من الزنابق البيضاء الطافحة بعطرهـا الذى يجلب أنفاس الربيع وسط صقيع الشتاء • لم تملك سوى أن تتقافز حول الساحرة بأجنحتها الشفافة كالفراشة

وفى كل دورة تقبلهـــا فى وجنتهـا اليمنى ثم اليسرى وتسألها بنبرات البلبل الصادح :

ـ كيف أسير بخطوات بللورية تحت الأمطار ؟

وعلى كتل ثلجية كالأحجار ؟

وأنا أرتدى هذا الجمال ؟

فى طريقى الى حفل السحر الحلال ؟!

أشارت الساحرة بالعصا الى فوهة المدفأة التى ارتفعت واتسعت لتدخل منها عربة مذهبة تجرها أربعة خيول مطهمة ببريق الأحجار الكريمة ويجلس على مقعد القيـــادة شابان كطيفى الخيال ! أشارت الســـاحرة لسندريللا بالركوب لكنها قبل أن تضع قدمها على سلمها غنت الساحرة :

ـ لكل شىء أوان

الآن وكل أوان

للجائع والظمآن

للفارغ والملآن

للقلب الولهان

للشارد الحيران

العائد لبر الأمان

بعد طول حرمان !

احتضنت سندريللا الساحرة :

ـ لا أفهم هذه الكلمات والمعانى !

ـ قبل آخر دقة من دقات الساعة الثانية عشرة عند انتصاف الليل سيزول عنك السحر !

شهقت سندريللا فى جزع ولهفة :

ـ على أن أعود قبل هذه الدقة ! قبل أن يشمت بى الأعداء ! على أن أعود الى البؤس والذل والهوان ! كان أفضل لى ألا أذوق النعيم حتى لا تحرقنى لسعات الجحيم !

ـ العبد فى فى التفكير والرب فى التدبير !

ـ ونعم بالله !

ـ اياك أن تنسى ! قبل آخر دقة قبل انتصاف الليل!

ثم رفعت الساحرة عصاها مودعة فقبلتها سندريللا وهى تدلف الى داخل العربة التى تخلب الألباب والتى انطلقت خلف خيولها المطهمة فى طريقها الى حفل العمر ، والستار يهبط مع خفوت الأضواء وتلاشى الموسيقى !

التهبت الأكف بالتصفيق وباحت الحناجر بآهات الاستحسان فى القاعة ، وانهالت القبلات والأحضان على سندس حتى عجزت عن التقاط أنفاسها . وتعلق الجميع بفلك سندس وسط طوفان النجاح لدرجة أن سحر وسلوى

لم تستطيعـــا احتمـــال عزلتهما أكثر من هــــذا فاقبلتـــا بقلبين دامين لتهنئة سندس التى كانت تدرك كل مايدور داخلهما · أما أمير الذى انحنى ليقبل يد سندس فقد انتابته عواطف شتى برز بينها تساؤل سرعان ماكبته :

– هل يمـــكن لسندس وهى طاقة متفجرة الآن أن تتفوق عليه فى الفصل الثانى فتسرق منه الأنظار التى كان محطها منذ عودته من فرنسا ؟!

فى لحظات خاطفـة تم اعداد ديكور قاعة الحفل فى قصر الأمير · وزع الأثاث الفاخرة فى جنبات المسرح وعلقت الثريات الساطعـة وفرشت الطنافس التى تغوص فيهـــا الأقدام · جلس أمير على مقعده المذهب الوثير الى جـــوار المدفأة المرمرية التى توهجت فيها ألســـنة اللهب الحمراء والزرقاء ، فى حين وقفت المجموعات الراقصة ، كل فتاة مع فتى على أهبة الاستعداد بمجرد انفراج الستار · وقفت كل من سحر وسلوى مع فتاها لكن عيونهما كانت تختلس النظر من حين لآخر لأمير الجالس وقد ركز عينيه على الأرض ولأمهما الجالسة عند الطرف الآخر من المدفأة ·

صدحت الفرقة الموسيقية بافتتاحية الفصـــــل الثانى وسرعان ما انفرج الستار عن المجموعة البهية من الراقصين والراقصات الذين تماوجوا بالملابس المزركشـــــة بالحوافى الشفافة والمرصعة بالجواهر المتألقة · ومن حين لآخر كان

يبدو من بين انفراجات الراقصين والراقصات حزينا موزع النفس ، لم يفارق منظره عينى سحر التى كانت ترقص مع زميلها بآلية واضحة جعلتها فى النهاية تنسحب وتذهب اليه تدعوه للرقص معها لكنه يرفض . تلح عليه فيصر على موقفه . تحاول أن تجذبه من يده لكنه ينهض وينفض يده متخلصا منها بالتحرك صوب الباب اليمين الذى ينظر خلاله وكأنه ينوى مغادرة الحفل كله ، ولكنه يتوقف فجأة وهو يحملق بعينيه لايكاد يصدق ماترياته !

تدخل سندريللا فجأة ، تنظر حولها فى ذهول وسط أمواج الجمال والسحر ثم تتردد وتدور على أعقابها وكأنها على وشك العودة من حيث أتت ، لكن الأمير يسرع فى خطوات منتشية ليمسك بأطراف أصابع يمناها ، فتحاول التملص من يده لكنه يجذبها الى حومة الرقص فى حين تتبادل سحر نظرات الحيرة والقلق مع أختها سلوى ثم مع أمهـــا التى لم تفارق عيناها هذه الجميلة الغامضـــة التى خلبت لب الأمير كوميض البرق والتى تذكرها للأســـف الشـــديد بسندريللا الغـــارقة الآن بين الصحـــون القـــذرة وفقاقيع الصـــابون ، نفس العينين السوداوين الواسعتين ، والشعر الأسود اللامع الناعم ، والبشرة الخمرية !!

وسط باقات الراقصين والراقصات بكل تناغم الألوان والحركات ، دار الأمير بسندريللا كأنه يسبح معها وســـط السحب البيضاء الرقيقة المتهاوية تحت شمس ساطعة .

وبالتدريج يتنبه الجميع لهذه المخلوقة الساحرة الغامضة التى تراقص الأمير وكأن الأرض قد انشقت عنها لتخرج من بطنها حورية فاتنة أعادت للأمير حبه للحياة واقباله عليها ٠

أفسح الراقصون والراقصات المجال للأمير وساحرته فاتسعت الدائرة التى تناثر محيطها عندما ركنوا الى الجلوس أو الوقوف فى جنبات القاعة ليتابعوا الأمير الذى كاد أن يطير بمعبودته ٠ رقص وأبدع كما لو كان لم يرقص من قبل ، وسبحت معه سندريللا كما لو كان جسدها على وشك أن يتحول الى أنغام وألحان متجسدة ٠ لم يشبع الحاضرون من هذه اللوحة الحية الأخاذة المتدفقة بينابيع الأساطير التى داعبت عقول البشر منذ فجر التاريخ ٠

هدأت الموسيقى من ايقاعها ، وتباطأت حركات الأمير ورفيقته الى أن توقفت تماما ، فامتزج التصفيق بانحناءاتهما المتكررة فى حين أسرعت أم سحر وسلوى لتطلب من الأمير بصوت جهورى منطلق :

ـ فليتفضل سمو الأمير بتقديم صديقته الجديدة الينا !

تردد بعض الشىء لكنه قال بثقة متزايدة :

ـ ستقدم هى نفسها بنفسها اليكم ٠٠ وان كان القمر لايخفى !

ران الصـــمت على الجميع وقـد ســيطر الحرج على سندريللا التى ترددت ثم نظرت حولها حائرة فأسعدت الأم وابنتيها ، لكنها استجمعت قواها لتغرد كالبلابل :

ـ أخبرتنى عصافير المدينة
بقصة الأمير الحزينة
فجئت لأنتشل قلبه الحنون
من بئر الخداع ذى القاع المسكون
وحتى لاتظن بى الظنون
فأنا طيف كهمس السكون
أما من يضحكون على الذقون
ويرون أن الغش فنون
فهم فى جهلهم لا يفقهون
أى منقلب سينقلبون !
هكذا تكلمت عصافير المدينة
عن خبايا القلوب الدفينة !

صمتت سندريللا ليصفق الأمير طربا :

ـ لم أعثر على انسان
بطلاوة مثل هذا اللسان !

لم تستطع الأم التزام الصمت :

ـ فلتشرح لنا أيها الأمير الهمام

المقصود بهذا الكلام !

أضافت سحر الى كلام أمها :

ـ لابد أنها تقصد الجلوس هنا والقيام !

أخذت سلوى الخيط من أختها :

ـ هذا الكلام بديل السلام !! يا سلام !

ابتسم الأمير في سخرية :

ـ مادامت هذه رغبتكن فعليكن السـلام ! تفضلي يا أميرتي ٠٠ اشرحي لهن حقيقة من يضمرن الخصام ويعلن السـلام !

احتارت سندريللا ماذا تقول ؟! خيم الصمت والحرج في حين ومض التشفي في عيون سحر وسلوى وأمهما ! تعلق بصر سندريللا بالساعة الذهبية الضخمة الرابضة على مرمر المدفأة ! كان عقرب الدقائق يقترب حثيثا من الثانية عشرة فشهقت وجحظت عيناها الواسعتان العميقتان عمق بئر الأساطير ! أمسك الأمير بيدها في لهفة :

ـ ماذا جرى لأميرتي ؟! هل أصابها مكروه ؟!

كان عقل سندريللا موزعا بين كلمات الأمير ودقات الساعة الوشيكة ٠ بحثت عن كلمات لتملأ فراغ الصمت

العميق لكن أول دقة كانت أسرع منهـــا ، فى حين كانت دقات قلبهـا أسرع ، ولسانهـــا كاد يجف مع كل دقة من الدقات الرهيبة المتتابعة • والجميع يتابعون المشهد ما بين تشف ودهشة وذهول ، والأمير يتساءل فى ذهول قلق :

ـ فلتقل أميرتى ماذا أصابها ! فأنا رهن اشـــارتها !

ركزت سندريللا بصرها على باب الخروج ثم اندفعت بكل قوتها صـــوبه ، والأمير ـ فى أعقابهـــا دون تفكير ـ يصـــيح :

ـ ماذا جرى ؟! الى أين ؟! كيف تسلبيننى السـعادة هكذا ؟!

اختفت سندريللا وخلفها الأمير بين شهقات الدهشة وصيحات الذهول وتعليقات سحر وسلوى وأمهما :

ـ هربت قبل أن ينفضح أمرها ؟؟

ـ هذه الأيام تشهد أشياء غريب أمرها !!

ـ ظنت بخداعها أن الأمير تحت أمرها !!

عاد الأمير كسيف البال ، منكس الرأس وفى يـده فردة حذاء بللورى ربت عليها فى حنان :

ـ هذا هو كل ما تبقى منها !!

قالت سحر دون أن تخفى نشوتها :

ـ أفسدت عليك وعلينا الحفل !

لم يسمع الأمير كلمة واحدة مما قالته سحر :

ـ سأظل فى بحث عنها فى كل أرجاء الامارة !! ولدى الدليل ! لدى الدليل !!

ثم رفع الحذاء الذى ومض فى ضـــوء الثريات وهو يرقص ويغنى فى منتهى التوتر والعصبية :

ـ لدى الدليل ! لدى الدليل !!

ويلملم الستار أطرافه وتخفت الموسيقى حتى تتلاشى بين التصفيق الملتهب وآهات الاستحســـان وصـــيحات الاعجاب !

كانت ليلة النشوة التى تصب الانتصار فى كؤوس مترعة تسكر الجميع بسحر الفن حتى أن الجمهور ظل يعد الدقائق حتى انفراج الستار عن الفصل الثالث حيث جـاء خدم الأمير الى بيت سندريلا بحثا عن صاحبـــة الحذاء السحرى . كانت سحر وسلوى ترقصان فى انتظار خدم الأمير وقد تشبعن بالأمل الكبير ، لكن ليس كل ما يتمنـاه المرء يدركه . فقد كان الحذاء ضيقا على قدم سحر وواسعا على قدم سلوى ـ وأمهما فى متابعتها الملهوفة لهما تكاد تموت كمدا . لكن يبدو أنه ليس للكمد حدود . ففى نفس اللحظة تخرج سندريلا من المطبخ فيسرع اليها أحـد خدم الأمير لكن الأم توقفه :



ـ انها مجرد خادمة هنا !! لايمكن أن تكون أميرة بأية حال ! أجابها الخادم فى حسم :

ـ انها أوامر الأمير على أية حال !!

ثم أجلس سندريللا على مقعد لتجرب الحذاء فاذا به يناسب قدمها تماما !!

صاحت الأم حانقة :

ـ مستحيل ! أقدام النبـــات المتقاربات فى السن متقاربات فى الحجم ! والامارة مليئة بهن ! ليست هى بأية حال ! قل هذا لسمو الأمير ـ فلن أسمح لها بالخروج حتى لاتصبح خادمتنا أميرتنا !!

عندئذ خلعت سندريللا الحذاء فى حســـم قائلة للخادم :

ـ سأحضر لك الدليل حالا !!

وغابت لحظات فى المطبخ لتعود ومعها الفردة الأخرى لتضعها الى جوار الأولى ويكتمل الحذاء !

شهقت الأم ودقت على صدرها ثم فقدت وعيها فى حين قامت سحر وسلوى فى رقصـــة ذبيحة كالندابات وأغان كئيبة كالعويل !

أما الخدم فقد التفوا حول ســـندريللا ليحملوها على محفة الى الخارج ، والموسيقى تمزج الشجن بالنشوة الى أن

يسدل الستار على الفصل الثالث ليهل الفصـــل الرابـع والأخير حيث يصطخب المسرح بالحفل الســـاحر الساحر المتألق الذى يقيمه الأمير احتفالا بزاوجه من ســندريللا ، والموسيقى تصدح بأبهج الألحان التى تجسدت فى الراقصين والراقصات ابتهاجا بالزواج الأســطورى الذى يهبط عليه الستار وسط الأكف التى أوشك التصفيق أن يدميها !

لكن المفاجــأة الشخصــية التى أعدها أمير حلمى ملك المفاجآت خارج الاستعراض لم تكن تقـل فى قوتهـــا عن المفاجأة الفنية !! فقد وقف وسط أعضاء فرقته وقد أمسك بيد سندسى لتلقى التهنئة والتصفيق المتبادل الذى لاتريد أمواجه أن تهدأ ، والزهور والورود الطائرة فوق رؤوسهم ، ووميض عدسات التصوير التى أغرقت المسرح كله فى طوفان من نــور !

أمسك أمير بالميكروفون وهو لايزال يرســـل قبلاته يمنة ويسرة منتهزا أول فرصة أو لحظة يهدأ فيها الصخب ليقول :

ـ لا أعـــرف كيف أرد لكم كل هذا الحب الذى لا أستحقه ؟! لكن كل أملى فى المستقبل أن أكون دائما على مستوى المسئولية وعند حسن ظنكم ! فأنا أســتمد الأمل والعزيمة والالهام منكم ! فأنتم أسرتى وأهلى وســـندى ! وطالما أنكم أهلى فاننى أستأذنكم فى طلب يد الآنســـة سندس توفيق هذه الليلة ! فهل توافقون ؟!

ضج المسرح بعاصفة عاتية من التصفيق ، وانهالت الزهور والورود مرة أخرى ، وسندس لا تكاد تصدق أنها تعيش لحظات كهذه !! لاتكاد تصدق عينيها أو أذنيهـا ، فقد اختلط الحلم بالحقيقة ، وامتزج الخيـال بالواقع ، وتحول الحشد الغفير في المسرح الى أضواء وخطوط وملامح يصعب عليها تمييزها ! هل يعقل أن كل هؤلاء شهود حفل زواجها الذى لم يخطر لها على بال ؟! هل مازالت تؤدى دور سندريللا فى العرض مع الأمير أم أنها الآن سندس التى تركت يـدها مستسلمة ليـد أمير حلمى الذى ألقى بهـذه الصاعقة على الملأ ؟! هل يعقل أن تعلم بنبأ زوجها فى نفس اللحظة التى يعلمه فيها هؤلاء الغرباء ؟! هل هذه مفاجأة شخصية حقيقية أم مفاجأة مسرحية درامية لاتدرك أبعادها ؟! لكنها تشارك الجمهور فى التصفيق والابتهاج كأن ما قاله أمير يخص مخلوقة غيرها ! لكن أين هى هذه المخلوقة ؟! لاتعرف !! كل ما تعـرفه أن الطوفان الذى صنعه أمير قد جرف هذا الحشد بكل ثقله الاجتماعى والاقتصادى والفنى ، فهل يعجز عن أن يجرفها وهى الفتاة الرقيقة رقة الفراشة ؟! ان ما فعله أمير الليلة لايقل فى سـحره الآسر عما فعلتـه الساحرة مع سندريللا ! هل يمـكن أن تـكون أسطورة سندريللا قد احتوتها تمـاما بحيث تحولت الى واقع حى ملموس تعيشه بكل جوارحها ؟!

تدفقت أسـئلة مشتملة تزيد فى عددها على العدد الغفير المحاضرين فاستسلمت لها سندس نفس استسلامها للتصفيق الهادر الذى لم يبـدأ فى التراجع الا بعد عجز الأيدى الملتهبة عن مواصلته ، وشروع الجمهور فى الخروج البطىء من الأبواب المفتوحة منذ نصف ساعة مضت !

كان أمير قد أعد لكل شىء عدته . كان المأذون جاهزا لاتمام العقد الذى انتقلت بعده الفرقة الى قاعة ألف ليلة بفندق الهيلتون ، والتى تم حجزها لقضاء ليلة أعادت الى كل الأذهان سحر ليالى ألف ليلة وليلة !

★★★

(٥)

استمر عرض أوبريت « سندريللا » عاما بأكمله دون أن تمر ليلة واحدة بها مقعد خال . بل ان الحجز كان يتم قبل العرض بشهرين أو ثلاثة . وتربع اسم سندس بحروف من نور على واجهـة المسرح وبحروف من نار فى قلوب المتفرجين . وعاشت سحر وسلوى أقسى أيامهما لدرجـة أنهما أدركتا أن خصومة سـندس حقد طفولى عنيد ، وأن عليهما التقرب اليها حتى تحين اللحظة التى يكتشفان فيها ثغرة يمكن التسلل منها الى قلعتها الحصينة لضربهـا فى الصميم . وكان هذا هو الأمل الوحيد الذى عاشتا على نوره الغامض الداكن . ولم يخل الأمل من خطوات عملية ترتكن الى فهمها لطبيعة أمير النرجسية . فقد التقيا بصحفى يشارك

فى رأسمال فرقة مسرحية أخرى ويهمه أن يوجه ضربة قاضية لفرقة أمير التى اجتاحت السوق ولم تترك للفرق الأخرى سوى الفتات ٠

ذات صباح خرجت الصفحة الفنية فى الصحيفة اليومية تقترح تغيير اسم المسرح الى مسرح سندس بدلا من مسرح أمير بعد أن أصبحت سندس كل شىء النجمة التى تلهث الجماهير وراءها ، والفنانة التى تعلق صورها الضخمة فى البيوت والأندية والمحال التجارية ، والنموذج الذى تقلده الفتيات فى تسريحة الشعر وطريقة المشى وأسلوب الحديث ، وبطلة الاستعراض التى لا يسأم أحد من مشاهدتها مرات ومرات ، وفتاة الغلاف فى معظم المجلات الفنية المصرية والعربية من الخليج الى المحيط ٠ فهى النجمة والبطلة والمسرح الذى يجب أن يسمى باسمها حتى يصبح إسما على مسمى !

استيقظ أمير فى ذلك الصباح فى فيلته المطلة على النيل وقد إستشاط غضبا صارخا فى سندس التى كانت فى المطبخ تعد طعام الافطار بنفسها برغم وجود الطباخ والخدم فى البيت :

ــ سندس !! ٠٠ سندس !! أين أنت ؟!

جاءت سندس لاهثة وهى تجفف يديها بمنشفة :

ــ ماذا حدث ؟! خيرا ؟!

القى اليها بالصحيفة فى عصبية متفجرة :

ـ انظرى ماذا كتبوا عنى وعنك ؟!

أمسكت سندس الصحيفة بعيون زائغـــة وأصـــابع مرتعشـــة ! ظلت تجـــرى بنظرات ملهـوفة على السطور وشفتين منتفضتين تحت وطأة جليـد يسرى فى أطرافها ! انتهت من القراءة وهى تحاول استجماع شتات أفكارها :

ـ يجب أن نتوقع مثل هذه الصغائر ! فالنجاح يربى العداء بطبيعة الحال !

انتفض أمير جالسا على حافة الفـــراش فى البيجاما الحمراء الحريرية :

ـ لاتقنعنى هذه الحكم والأمثـــال العامة ! لابد أن هناك من أوحى لهذا الصحفى بهذا الكلام القذر !!

كانت ســـــندس فى الآونة الأخيرة قد استشعرت بعض مظاهر غيرته منهـــا لدرجة أنه طرد ذات يوم فريق تليفزيونى زارها فى البيت لتقديم برنامج عن حياتهـــا الخاصة والأسرية • تساءلت وقد استرجعت تحكمها فى أفكارها وخواطرها :

ـ فيمن تشك على وجه التحديد ؟!

لم يسترح لنظراتها لكنه واصل زحفه :

ـ من له مصلحة فى ذلك ؟!

لم تعد سندس تحتمل شكه أكثر من هذا :

ـ لا أعتقد أن هناك أحدا فى فرقتنا يسعى لمثل هذا التخريب !! فقد عـادت عليهم الأوبريت بدخـول وحوافز لم يحلموا بها من قبل !!

ـ أتظنين أن الفرقة كانت مفلسة قبلك ؟!

ـ أرجوك .. افهمنى !

ـ هل أصبحت أنت من الصعوبة أو أصبحت أنا من الغباء بحيث لا أستطيع أن أفهمك ؟!

ـ أسفة ليس هذا قصدى ! كل قصدى أن نحافظ على البناء العظيم الذى أقمناه سويا !!

ـ أنا الذى أقمت هذا البنـاء !! أنا الذى علمتك وأرشدتك وجعلت منك نجمة اسمها على كل لسان وصورتها فى كل قلب !! أنا الذى اكتشفتك منذ البـداية ولولاى لكنت الآن فتاة كومبارس مغمورة !!

ابتسمت سندس فى حنو وتقدمت لتجلس الى جواره على حافة الفراش لتربت على كتفه :

ـ وهل أنكرت شيئا من هذا يا حبيبى ؟! كنت أكرر

هذا وغيره فى كل أحاديثى الصحفية والاذاعية والتليفزيونية!!
لايمكن أن أنسى فضلك على !!

لم يحتمل ذكرها لأحاديثها الصحفية والاذاعية والتلفزيونية فانتفض ذاهبا الى المرآة التى جلس أمامها ليمشط شعره :

– وهل تعتقدين أن ذكرك لاسمى فى أحاديثك اياها سوف يضاعف من حجمه ؟!

أخفت ضيقها من رنة السخرية والاستهزاء عند ضغطه على « أحاديثك اياها » ووقفت خلفه وعيناها مركزتان على وجهه فى المرآة :

– اسم أمير حلمى ليس فى حاجة لمضاعفة حجمه ! وانما المسألة مجرد رد الحق لصاحبه !

– عشت وشفت اليوم الذى أقبع فيه كالعجائز فى انتظار من يرد الى حقى !!

فقدت سندس الرغبة فى مواصلة الحوار العقيم :

– يبدو أن التفاهم معك مستحيل اليوم ! عن اذنك ! سأذهب لاعداد الافطار !!

ـ أصبحت لاتطيقين مجرد الحوار معى بعد أن كنت تتلهفين على مجرد التفاتة أو كلمة منى !! أدركت الآن فقط معنى كلام أختك سلوى لى يوم اخترتك للدور !!

تراجعت سندس عن انسحابها وعادت لتخوض معركة لم تتصور أنها ستقع بهذه السرعة :

ـ وماذا قالت سلوى ؟!

ـ أتظنين سأخاف منك .. قالت : سندس لاتعترف بجميل أحد عليها ! وهى أول من يعض اليـد التى تمتـد لمساعدتها وانقاذها !!

ـ لهذا السبب تصر على الترحيب بهما فى البيت !! خدعك ادعاؤهما الاخلاص والوفاء والتفانى .. وهما اللتان تضمران لى كل شر !! ومادمت قد فتحت سـيرتهما فأنا اتهمهما بتحريض الصحفى على كتابة ما فجر بركان شكوكك !

نهض وكأنه يحاول تجنبها فخـرج الى الفراندة التى تطل على النيل حيث يجرى فرعه الضيق مخترقا الزمالك :

ـ ولماذا لاتقولين بركان شكوكك وغيرتك ؟!

أسرعت خلفه لتتكىء بمرفقيها على السور الرخامى :

ـ لاتقولني كلاما لم أقله ! أتظن حب سحر وسلوى لى قد تفجر فجأة فلم يمكنهما الابتعاد عنى سواء فى المسرح أو البيت !! سحر بالذات كانت ولاتزال تتمنى أن تفوز بك زوجا !!

تدفقت مشاعر النرجسية المريحة فى عروقه فلاح شبح ابتسامة راضية على خضرة عينيه :

ـ لو كنت رضخت لكل من تمنت الزواج منى ٠٠ لكان على أن أتزوج كل جميلات البلد !!

لم تكن نوبات الغرور التى تنتابه وتطفح على كلماته وحركاته بالشيء الجديد على سندس ، لكنها هذه المرة لم تحتملها ، فنضحت من كلماتها قطرات من السخرية حاولت تجفيفها بأسرع ما يمكن :

ـ ومن الطبيعى أن تحقد على كل جميلات البلد ٠٠ وليس سحر فقط !

اقتربت منه لتربت على ظهره كطفل كبير :

ـ لن أسمح للشيطان أن يدخل بينى وبين عبقرى الإستعراض فى مصر والعالم العربى !!

دون أن ترى وجهه شعرت بالارتياح يسرى فى عروقه المشدودة فأضافت :

ـ سأذهب لاعداد طعام الافطار !!

ـ وهذا أيضا لا أحبه ! لابد أن تترك سيدة القصر مثل هذه الأعمال للطباخين والخدم !

لم تعبأ برنة التعالى فى كلماته ، فهى لاتخجل من أصلها المتواضع :

ـ من السهل أن أصبح تنبلا فى البيت ! لكننى أجد متعة فائقة فى أن أعد لك الافطار بيدى ! الحب أعمال ملموسة لا أقوال مهموسة !

ثم تركته لتنطلق الى المطبخ ولسان حاله يقول :

ـ لا فائدة .. فقد تربت فى المطبخ وأصبح يجرى فى دمها !

استرخى على المقعد البامبو ذى الحشايا الوثيرة أمام المنضدة المستديرة وهو يتأمل السيارات التى تنهب طريق الكورنيش ، والأسوار والجدران والمبانى الكئيبة التى أقيمت مكان الأشجار الباسقة التى طالما داعبت عينيه فى

صباه وشبابه المبكر بألوانها الخضراء وأزهارها الحمراء وظلالها الوارفة التى كانت تهب بالنسمات المنعشة العليلة على الجالسين على السور الحجرى فى استرخاء ناعس ! ومع ذلك كان يقضى الصيف مع أبيه وأمه بين ربوع سويسرا وأحضان فرنسا !

فجأة برزت من باب الشرفة سحر وسلوى لتقبلا عليه بالسلام الحار والقبلات وتجلسا أمامه باسمتين سعيدتين للاحباط السارى على وجهه . كانت سحر ترتدى بنطلونا أبيض ضيقا ، وتضع على عينيها نظارة شمسية ، وتجمع شعرها المائل الى الاحمرار فى شريط أبيض حريرى، أما سلوى فكانت ترتدى حله شبيهة بتلك التى يرتديها جنود الصاعقة وقد تركت جدائل شعرها نهبا لأية نسمة هواء ! قالت سحر فى تساؤل متخابث :

ـ أين سندس ؟!

ـ ألم تفتح الباب لكما ؟!

ـ الشغالة هى التى فتحته !

ـ فى المطبخ !

دخلت سلوى فى الحوار بسخرية واضحة :

ـ من فات قديمه تاه !

عادت سحر الى تساؤلها :

ـ هل قرأت ما نشر اليوم ؟!

ـ قرأته !

ـ ارجو ألا يؤثر على علاقتك بسندس برغم أنه غاية فى الاستفزاز !

أضافت سلوى الى أختها :

ـ لاتهتم .. الكلاب تنبح والقافلة تسير !

تساءل أمير وعيناه على مياه النيل التى بدت راكدة :

ـ لمصلحة من هذا الذى كتب ؟!

لم تشأ سحر أن تضيع الفرصة الذهبية التى جاءتها على طبق من فضة :

ـ المقال كله مدح فى سندس !!

ـ هذا ظنى أيضا !!

تساءلت سلوى فى لؤم متصاعد :

ـ وهل حسم موضوع المنتجين والمخرجين الذين أرادوا توقيع عقود معها لأكثر من فيلم ؟!

ـ هذا الموضوع حسم منذ البداية .. فعقدها مع الفرقة يحتم عليها التفرغ الكامل للعرض المسرحى !

علقت سحر :

ـ طبعا هذا الشرط على عينها !

أضافت سلوى :

ـ لكن السؤال الذى يلح على : هل كان من الممكن أن تنطلق الى السينما لو كان هذا الشرط غير موجود !!

أراد أمير أن يقهر احساسا خفيا بالذنب داخله :

ـ انها لاتعصى لى أمرا !!

علقت سحر :

ـ المهم أن تنفذه بحب ورضا وقناعة وليس رغما عن أنفها !! الحقيقة أن اختلاف المستويات الاجتماعية والاقتصادية خطر داهم على أى زواج غير متكافىء !

خلعت نظارتها واسترخت فى مقعدها لتستعرض عينيها العسليتين فى حين التقطت سلوى الخيط :

ـ وهذا هو ما عانت منه ماما فى حياتها مع بابا !! أحبته برغم اختلاف البيئة والتربية .. فخسرت أسرتها الأرستقراطية .. وأجبرت على الحياة فى منزل قديم متهالك فى العباسية .. ومازالت حتى الآن تدفع ثمن حبها القديم !

صمتت سلوى لتستأنف سحر :

ـ على كل حـــال ٠٠ انتهى زمن الحب الرومانسى لخطورة النتائج المترتبة عليه !

كانت سلوى على وشك أن تكمل المعزوفة لكن دخول سندس فى بنطلون أخضر وبلوزة بيضاء وخلفها الشغالة تحمل صينية الافطار ، أوقفها عند حدها ٠ ألقت سندس بتحية الصباح وأشارت للشغالة بوضع الافطار على المنضدة ففعلت وانصرفت !

أحضرت سندس مقعدا رابعـــا من ركن فى الشرفة وجلست الى جوار أمير وهى تقول لهما :

ـ تفضلوا معنا !!

ردت سحر :

ـ سنكتفى بالشاى !

ثم تشاغل كل منهم بشىء متجنبا النظر الى الآخر : أمير بالمتزحلقين على صفحة النيل ، وسندس بصب الشاى فى الفناجين ، وسحر بمجلة أخرجتها من حقيبتها ، وسلوى بمتابعة قفص العصافير الكاناريا الموضـــوع فوق الســـور الرخامى ، لكن هواء الشرفة كان مشحونا بمس كهـــربى ينذر باندلاع شرارة فى أية لحظة !

***

(٦)

ركبت سندس السيارة البيضـــاء الفارهة الى جوار زوجها بعد انتهاء العرض ٠ كانت الساعة قد جاوزت الواحدة صباحا والوحشة تسرى فى شــوارع القــاهرة مع قطرات المطر المبكر هذا العام ، ومع دقات ماسحات المطر على الزجاج الأمامى للسيارة ٠ كانت البرودة المتمكنة من أطراف سندس برغم رقصها وآدائها طوال ثلاث ساعات أثقل من البرودة المحيطة بهـــا والمتزجـة بالصمت الذى عشش فى أركان السيارة ٠

تطايرت نذر الشر فى الأيام الأخيرة وبدا على أمير أنه يريد أن يفصح عن بركان هادر داخله لكنــه كان يتراجع دائما فى اللحظة الأخيرة ويلوذ بالصمت المتشبث به الآن ٠

لكن هواجس سندس ومخاوفها تأكدت عنـــدما نقل اليها عماد بعض أطراف من الأحاديث الجارية بين أمير وســـحر وسلوى فى غيبتها ، بل ووضع نفسه فى خدمتها للقيـام بأية خطوة تطلبها منه لانقاذ الموقف ، لكن المشكلة أن العيب فى أمير قبل أن يكون فيهما ! فقد أعمته الغيرة من زوجتـه وهو الذى اعتاد طوال حياته أن يكون محط أنظار الجميع ! بل انه عمد الى جرح شعورها واذلالها بتذكيرها بأصلهـــا المتواضع الذى انتشلها منه لتقفز من قاع الفقـر والحاجة الى قمـة الثراء والشهرة ، ومع ذلك تجنبت الاحتكاك به بقدر الامكان ، لكن الى متى ستظل متمسكة بالحكمـة التى تعلمتها أيام الشقاء فى حين يصر هو على مواصلة الاهانات ؟! لم تعد تلك الفتاة البائسة الواقعة تحت رحمة زوجة أبيهـا بل أصبحت النجمة المتألقة فى القلوب وعلى الألسنة ! صحيح أنها لاتنكر فضل أمير ، لكنه فضل لايمنحه حق اهانتهـــا وجرحها كلما وخزته أشواك الغيرة ! فالفنــان الواثق من نفسه وفنه وجمهوره لابد أن يترك هذه الصغائر والمشاعر الطفولية لغيره من البشر العاديين . ولذلك حاولت سندس أن تحتفظ قدر امكانها بصـورته القديمـــة المبهرة حتى لايسقط فى نظرها فلا تعرف عندئذ كيف تواصل الحياة معه !!! ومع ذلك فهو يصر على السقوط فى نظرها !

اخترقت السـيارة شـوارع الزمالك صـــوب طريق الكورنيش دون أن ينبس أمير ببنت شـــفة فى حين ظلت

سندس غارقة فى خواطرها وتساؤلاتها وهواجسها حتى بلغا طريق الكورنيش لتنحرف السيارة يمينـــا حيث رضخت الأشجار لهبات الريح والرذاذ المنهمر · هدأت من سرعتها لتدخل من البوابة الحديدية للفيلا وتستقر داخل الجراج · هبطت سندس وهى تضم معطف الفـــراء حول خصرها · لم تنتظره بل أسرعت بالصعود · وفى غرفة النوم شرعت فى تغيير ملابسها !

لحق بها فى الغرفة لتومض عيناه برغبـة محـرقة فى الادلاء بما ينوء به صدره · شغل نفسه بابدال ملابسه فى حين أسرعت ســـندس لتدس نفســها تحت الغطاء · جلس على حافة الفراش قائلا فى همس مبحوح :

ــ أصــدرت أمرى الليلة لشباك المسرح بالتوقف عن المزيد من حجز المقاعد !

انتفضت جالسة وهى تكاد أن تشهق :

ــ لماذا ؟!

ــ لايمــكن أن نظـل نقوم بنفس الأدوار لأكثر من أربعمائة ليلة متصلة ! لقد سئمت العمل وفقدت حماسى له !

لاحظت أنه يحاول تجنب التقاء عينيها بعينيه كعادته كلما خشى أن تفتش فى قلبه عما يحاول أن يخفيه عنها :

ــ هل يمكن أن يسأم الفنان من نجاحه ؟! الكارثة هى

فى أن يسأم الجمهور ولا يشعر الفنان بذلك ٠٠ لأول مرة يصاب الفنان بالسأم فى حين يشتعل الجمهـــور حماسا لعمله !

ـ جاء اليوم الذى أتعلـم فيـه على يديك !؟ منـك نستفيد !!

لم تحتمل مرارة الســـخرية فى نبـراته المشـــحونة بالنرجسية الفارغة :

ـ الانسان يمكن أن يتعلم من أضعف المخلوقات ٠٠ النمل مثلا يعلمنا النظام والصبر وقوة التحمل ٠٠ وأعتقد أننى لست أقل شأنا منه !!

أصبح يمقت منطقها وقوة شخصيتها المتزايدة :

ـ لابـد أن تعـرفى أن القرار قـرارى ٠ والمسرح مسرحى ٠٠ والكلمة الأولى والأخيرة لى ٠٠ أما عندما يصبح مسرح أمير مسرح سندس فيمكنك أن تفعلى به ما تشائين !

ـ التفاهم معك أصبح مستحيلا ٠٠ أنت تعلم جيدا أننى أبعد الناس عن هذه الأفكار والمخاوف التى يحـــاول الآخرون بثها فى ذهنك !

ـ وتريدين أيضا أن توحى الى بأننى أصبحت امعة وذيلا للآخرين ؟!

ـ ســامحك الله ٠٠ أصبحت تحرف كل كلماتى !! تصبح على خير !!

ثم أدارت ظهرها لتنام على حافة الفراش لكنه ظل جالسا على الحافة الأخرى وكأنه لايريد لليلة أن تمـــر على خير :

ـ لكن لاتظنى أن المسرح سيغلق أبوابه ·· سأبدأ بروفات الأوبريت الجديدة التى ستنجح أضعاف أضــعاف نجاح سندريللا !!

لم تستطع سندس النــوم أو التنــاوم أو الصمت او التجاهل :

ـ لأول مرة أســمع عن أوبريت جديدة وأنا بطلة الفرقة ؟!

ـ أنت بطلة « سندريللا » لكن الفــرقة مليئــة بالبطلات ·· وسأكتشفهن الواحدة بعد الأخرى كما فعلت معك !!

ـ لاتظنني أنني بهذا القدر من الجهل أو الغباء ·· فأنا أراهن أن بطلتك الجديدة هى سحر برغم أننى لا أعلم حتى اسم الأوبريت الجديدة !!

قرر أن يواصل التحدى الى نهايته التى لايعرفها على وجه التحديد :

ـ كل هواجسك فى محلها ·· ســـحر هى بطلة الأوبريت الجديدة ·· واذا كنت لاتعلمين اسمها كما تقولين فهى لعلمك أوبريت « ذات الرداء الأحمر » !

لم تحاول سندس اخفاء تهكمها المرير :

ـ أنسب دور لسحر فى الأوبريت هو دور الذئب !!

ـ أعرف أن الغيرة تكاد تقتلك !!

تجنبت استفزازه قدر الامكان :

ـ وطبقا للنظام الجديد فأنا ليس لى مكان سوى البيت !

ـ آن الأوان أن أعيش مثل كل الأزواج السعداء ٠٠ والآباء السعداء الذين يعودون الى بيوتهم بعد يوم من العمل الشاق ليجدوا زوجاتهم وأطفالهم فى انتظارهم على أحر من جمر !

تذرعت بكل طاقات الحكمة والصبر داخلها :

ـ لا أظن أننى فى حالة الحمل سوف أرقص على المسرح وبطني منتفخة كالبطيخة !

ثم استدركت وكأنها تذكرت شيئا مهما فواجهت عينيه الناضحتين بحيرة الأطفال :

ـ لم أعهد فيك من قبل أن الانجاب أو عدم الانجاب يمثل مشكلة عندك ٠٠ فطالما قلت لى ان الفنان يستطيع أن ينجب مالايمكن أن ينجبه غيره من البشر والحيوانات ٠٠ فهو ينجب الأعمال الفنية ٠٠ فما الذى غير أفكارك الأثيرة هكذا فجأة ؟!

اصطنع التواضع لدرجة أنه أثار غثيانها :

ـ ما أنا الا بشر ! ولى نفس حقوقهم وعلى نفس واجباتهم !

تأكدت أن الليلة لن تمر على خير :

ـ ما كل هذا التواضع الذى حل عليك فجأة ؟!

نهض فى عصبية ليجلس على مقعد أمام المرآة :

ـ لا أسمح لأى مخلوق أن يكلمنى بهذه الطريقة !

ـ طبعا بعد قصائد الغزل المكشوف التى اعتدت سماعها من سحر ٠٠ والتى وصفتك فيها بالعبقرى السوبرمان ٠٠ لاتحتمل أى كلام صريح من القلب !!

انتفض مديرا ظهره للمرآة فى محاولة لاخافتها بنظرات كالشرر المتطاير :

ـ كنت تتظاهرين بعدم المبالاة والثقة فى النفس فى حين تتجسسين على كل كلمة تقولها سحر لى ؟!

لم تخف بل واصلت زحفها الواثق من قوتها الداخلية المتنامية :

ـ لست بلهاء كما تظن ! ولست فى حاجة الى التجسس فأنا أستطيع أن أقرأ ما يدور داخل الذى أمامى من مجرد رؤية عينيه !!

اشاح بوجهه بعيدا وهو يكاد يتمزق غيظا :

ـ وماذا تقرأين بداخلى ؟!

ـ قرأت مايدور داخلك منذ أصـــبح اسمى على كل لسان وصورتى فى كل مكان !

ـ أنا الذى صنعت منك كل هذا ؟!

ـ ولماذا لم تصنع ماصنعته مع أية فتاة أخرى ؟!

ـ كنت أكثرهن حظا !!

ـ الحظ ليس السبب وانما الموهبة !!

ابتسم فى غيظ :

ـ ولكى أثبت لك حقيقة ما أقول ٠٠ فاننى اخترت بطلة جديدة للأوبريت الجديدة !

ـ لا تظن أننى أحاول فرض نفسى عليك ٠٠ ولا تظن أيضا أن فنانة مثلى يمكن أن تقبع فى عقد دارها فى انتظار تعطف السيد زوجها عليها !!

تجاهل رنة السخرية التى لم تكبتها :

ـ وماذا تنوين على وجه التحديد ؟!

ـ أستطيع أن أمارس فنى مع أية فرقة أخـرى ٠٠ كما يمكننى قبـول عقود الأفلام التى حرمت منهـــا !!

والحمد لله فان عقدى معك هو عقد احتكار لسـندريللا فقط ·· وليس للفرقة بصفة عامة !

لم يتصور أنها ستواجهه هكذا بهذه الندية :

ـ وماذا عن عقد زواجنا ؟!

ـ وما علاقة عقد الاحتكار بعقد الزواج ؟! أتعتقد انه احتكار أيضا ؟!

لأول مرة منذ أن تزوجها يجد نفسه باحثا فى حيرة عن كلمات مناسبة :

ـ لابد أن تعلمى أنك بدونى لا شىء !

ـ لا داعى لهذه الاهانات ·· فأنا أعلم أن هذا رأيك منذ البداية !

ـ ولماذا قبلت العمل معى طالما أنك بهذه البصـيرة النافذة ؟!

ـ قبلته بسبب هذه البصيرة الثاقبة التى علمتنى أن فرصة النجاح قد لا تأتى فى العمر سوى مرة واحدة !

ـ يعنى أننى لم أكن بالنسبة لك سـوى فرصة للنجاح ؟!

ـ كنت كل شىء بالنسبة لى !!

قاطعها وهو يستدير ليواجه المرآة مرة أخرى :

ـ كنت ؟!

ـ المهم ٠٠ من أنا بالنسبة لك ؟! لا شيء !!

ـ لاتلعبي بالألفاظ !!

ـ الألفاظ لاتهمني ٠٠ الأفكار والمشاعر هي شاغلي الأكبر ٠٠ وهي تقول لي أشياء بغيضة الى نفسي !!

عاد الى شغله الشاغل :

ـ وهل تعتقدين أنك ستنجحين بدوني ؟!

ابتسمت ابتسامة مريرة وهي تضم ساقيهـــا تحت الغطـاء :

ـ ربما أكون محظوظة للمرة الثانية !!

ـ وحتى لو نجحت ٠٠ سيكون بفضـــل قوة الدفع الأولى !!

ـ من قال لك انني أنكر فضلك علي ؟!

ـ لو أنت معترفة حقا بهذا ٠٠ فلابد أن تنزلي عن طاعتي !!

التفتت لتحملق في عينيه المتأججتين بخضرة داكنة في المرآة :

– أرجوك .. قل لى أوامرك على وجه التحديد حتى لانضيع الليل كله فى نقاش عقيم !!

تردد للحظات ثم قال :

– أرى أن تهتمى بواجبك كزوجة فى الفترة القادمة وأن تستعدى للقيام بدورك كأم .. وبالتالى فالفن يأتى فى المرتبة الثانية أو الثالثة !

– كنت تتضايق دائما عندما أشارك الخدم أعمال النظافة والطهى .. لدرجة أنك وبختنى ذات مرة وقلت : لابد أن تدركى الفرق بين بيت أبيك ومنزل زوجك !!

– وإجبات الزوجة لاتعنى أعمال النظافة والطهى !!

– وماذا تعنى على وجه التحديد ؟!

عاودته العنجهية الممتزجة بالنرجسية :

– هناك فرق واضـــح بين دور الخـادمة وواجب الزوجة !

– لم تجب على سؤالى !!

– يبدو أن التفاهم بيننا أصبح مستحيلا ؟!

واصلت حديثها متجاهله مراوغته :

– كما أن استعدادى للقيام بدور الأم ليست أمرا

مرتهنا بارادتك أو ارادتى ·· وعندما يأذن الله يمكننا طرح هذا الموضوع للمناقشة واتخاذ القرار المناسب فيه !!

قاوم بدايات رضوخه لطوفانها الجارف :

ـ وماذا أيضا ؟!

ـ أما بالنسبة للفن الذى يمكن أن يأتى فى المرتبة الثانية أو الثالثـــة ·· فظروف الحيـــاة هى التى تحدد الأولويات ·· أحيانا الفن وأحيانا أخرى الحياة الزوجيـة وأحيانا ثالثة الأمومة !!

ـ وماذا عن وضعك وظروفك الآن ؟!

ـ طالما أننى لم أقصر فى حقك كزوجة ·· ولم يأذن الله بعد كى أصبح أما ·· فلابد أن يأتى الفن فى المرتبة الأولى !!

همس كأنه يخاطب نفسه :

ـ تمـــاما مثلما قالت سـلوى ·· أنت لاتعترفين بجميـــل أحد عليك ! وأول من يعض اليد التى امتـــدت لمساعدتك وانقاذك !!

ـ لن أدافع عن نفسى ضد كلام سحر وسلوى ·· فقد نجحتا فى اللعب بكل الأوتار الحساسة داخلك ·· أنت تريدنى مجرد جارية فى بلاط سموك ·· أنت تريد الجميع يدورون فى فلكك !! لكن مشكلتى أننى أملك الآن فلكا خاصا بى !

نهض فى طريقه الى خارج الغرفة :

ـ يبدو أننا لن نستطيع الاستمرار معا !!

أسرع الى الحمام لينظف أســـنانه ، فألقت بالغطاء جانبا وهرعت خلفه لتقف عند الباب :

ـ أتقصد المسرح أم الزواج أم الاثنين معا ؟!

أغمض عينيه وهو ينظف أسنانه بعصبية :

ـ لا أحب تقسيم حياتى الى خانات ٠٠ خانة للمسرح وأخرى للزواج ! الفن هو الحياة والحياة هى الفن !

ومض اصرار مخيف فى عينيها :

ـ وأنا أيضا أعيش فى الفن كمــا تعيش السمكة فى الماء !

ـ أرجوك لاتقارنى نفسك بى !! فنحن مختلفان تماما فى كل شىء !

ـ هذا هو الشىء الوحيد الذى لا أختلف فيه معك !! فأنا لا أحب أن أقارن نفسى بأحد ٠٠ سواء أنت أو أى انسان آخــر !!

بصق المضمضة فى عصبية بالغة :

ـ كل ما قالوه عنك كان صــحيحا ٠٠ كانت غلطة عمرى !

بلغ بها طوفان التحدى مداه :

ـ وأنا لا أحب أن تعيش نادما طوال حياتك بسبب غلطة ارتكبتها فى لحظة طيش !!

لم يعد يحتمل المدى الذى بلغته معه ، فلجأ الى جرح شعورها :

ـ المشكلة أنك لا تملكين المكان الذى يمكن أن تلجئين اليـــه !!

ـ لا تحمل همى ! فلم أعد عالة على أحد !!

ثم عادت لاهثـة الى غرفة النــوم لتستبدل ملابسها فى لحظات خاطفـة فى حين تشـاغل أمير بوضع قطرة فى عينيه ٠ تصـــور أنه كسر أنفهـــا وأنها ستطلب منه العفو والمغفرة ٠ لكن هدوء الليل لم ينقل اليه صـــوت بكاء أو نحيب أو نهنهة بل ســمع أصــوات أبواب تفتح وتغلق ثم لمح شبحها يمر أمام باب الحمـــام وقد ارتدت بنطلونا كاكيا وبلوزة خضراء وفى يدها حقيبة كبيرة كأنهـــا فى طريقها الى جبهة القتال !

مرق من باب الحمام ليجدها فى طريقها الى باب الشقة:

ـ لو خرجت من هذا الباب فأنت طالق !

لم ترد وانما صفقت البـاب خلفها لتهبط الى الحديقة حيث توقف المطر وسرت فى الهواء نسمة نقية منعشة ملأت رئتيها فعاد اليها تماسـكها وسـكونها وهى تفتح عربتها الحمراء الصغيرة وتدير محركها فى حين سمعت صوت باب الفراندة العليا وهو يفتح بعنف لتلمح شبح أمير فى بيجامته الحريرية ٠ لكنها أسرعت على قدميهـا لتفتح البـوابة الحديدية وتعود لتقود العربة الى الخارج ثم تهبط مرة أخرى لتغلقها خلفها ، متتبعة من طرف خفى ذلك الصنم الأصم المتشبث بسور الفراندة ٠ ركبت العربة لتنطلق بها بحذاء سـور النيل حيث داعب الهواء أوراق الشـجر فتساقط بعضها فى حين تشبث البعض الآخر بالأغصان الفتية ٠

لم يكن القمر ساطعا لكن الطريق كان واضحا فى ضوء المصابيح التى غسلها ماء المطر ٠ كانت الشوارع خالية باستثناء عربة مارقة هنا وهنـاك ، ومع ذلك لم تشعر بوحشة سارية داخلها ، وتراجعت البرودة فى أطرافها أمام زحف الدماء الساخنة ، وتقهقر الصمت أمام صخب الأفكار التى ترتطم بصخرتها الصامدة !

كان الشيء الذى أشعل دهشتها ولم تجد له تفسيرا أنها تركت نفسـها لاحسـاس غامض مثير ذكـرها بذلك الاحساس الغامر يوم اختارها أمير سندريللا والذى أكد لها أنها ولدت من جديد ٠ فى ذلك اليـوم كانت كل الظروف

والملابسات والتطورات تؤكد هذا الميلاد الجديد ، أما ظروف هذه الليلة فتؤكد العكس تمـــاما · فقد أصبحت مطلقة ، مطرودة من عملها ، بلا أى سند ، ومع ذلك تشعر بأنهـــا ولدت من جديد للمرة الثانية ! فهل هذا احســـاس صادق أم أنه احساس من سرقته السكين ؟!

***

(٧)

جفا النوم جفون عم توفيق فى تلك الليلة · كانت أحوال سندس مع أمير فى الآونة الأخيرة تثير قلقه وخوفه ، خاصة وأنه أدرى بطبيعة ابنته التى اعتادت اغلاق قلبهـا على مافيه ! كم قتله احساس الذنب تجاهها ! دوامات الحياة جرفته بعيدا عنها فتركها تحت رحمـــة زوجته وابنتيه ! لكن عذره أنه كان يسعى لاهثا وراء لقمة العيش · صحيح أنه ربط بين مجيئها الى هذه الدنيا وبين رحيل أمها عنها فى نفس اللحظة ! كان احساسا ممضا جارفا لم يستطع مقاومته فى معظم الأحيان برغم ادراكه بأن الذنب ليس ذنبها على الاطلاق · وربما كان هذا الادراك الخفى هو الذى جنبه جرح شعورها وان لم يمنعه من اهمالها حتى كادت

أن تصبح مجرد خادمة فى البيت · لكن حمدا لله اذ أن التجربة التى مرت بها لم تكسر عودها بل زادته صلابة ، وعندما واتتها الفرصـة انطلقت كالصـاروخ كى تعوض كل ما فاتها !

لكن يبدو أن الأقدار تصر على مطاردتها بالامتحانات والمحن المتتابعة · فبعد أن ابتسمت لهـا الحياة وأشرقت عليها شمس المستقبل الباهر بدأت العلاقة بينها وبين أمير تتوتر لدرجة أن حياتها الزوجية نفسـها أصبحت محـل تساؤل · لم يخف على العاملين بالمسرح مظـاهر الجفـاء والبرود والاحباط والشد والجذب بينهما برغم محاولاتهما لاخفائها تحت ستار شفاف من الدبلوماسية والابتسامات · صـحيح أن سحر وسلوى كانتا من العوامل المسـاعدة فى توسيع وتعميق فجوة الخلاف التى تحولت الى هوة بينهما ، لكن المشكلة الحقيقية كانت كامنة فى أمير نفسه · لم يتصور أن تتحول سندس الى هذه النجمة التى خلبت لب الجماهير حتى كاد اسمه أن يتوارى وراء اسـمها وهو الذى اعتـاد أن يكون مركز الكون فى كل عمل ينهض به !

تقلب عم توفيق فى فراشه مديرا ظهره لزوجته التى علا شخيرها من فمها نصف المفتوح · تذكر يوم نهر سحر وسلوى على المحاولات التى سعيتا بها الى الوقيعة بين سندس وأمير ، اذ أن المعبد لن يسقط على رأسها فحسب بل على رؤوس الجميع وسط تشفى الخصوم والحاقدين ! لكن يبدو

أن طبيعـة أمير جعلت المعبد آيـلا للسقوط . اذ أن نفس المحاولات قامت بها راقصات أخريات من الفـرقة ولقيت نفس الترحيب الذى لقيته سـحر وسلوى ! أى أنه على اسـتعداد للترحيب بكل من يضرب على أوتار العنجهيـة والنرجسية وجنون العظمة فى قلبه ! يكفى أنه سمح لنفسه أن يلمح له أكثر من مرة أنه انتشل سندس من قاع البؤس والضياع الى قمة الشهرة والثراء ! فصاحب القلب الكبير لايمكن أن يمن على الآخرين مهما كانت أفضاله عليهم ! وقلب أمير لم يعد فيـه متسع لأحد بعد أن امتلأ بنفسـه حتى ضاق بها !

وكان قراره الأخير بغلق شباك الحجز مقدما للأوبريت الجنون بعينه ! أما نشوة سحر وسلوى وأمهما بهذا القرار فهى الغباء بعينه ! وهى نشوة بلغت قمتها عندما اتخذه هذه الليلة بعد تردد دام أكثر من شهر ! انه ـ وهو معه ـ يظن بهذا أنه يعيد سندس الى حجمها الحقيقى ، لكنه لايعلم ـ برغم دراسـته فى فرنسا ـ أنه لا أحد يستطيع أن يمنح حجما كبيرا لفنان سوى الجمهور الذى يستحيل تضليله اذا اقتنع به . وسندس من هذا النوع الذى دار مع عجلة الزمن التى لا يمكن أن تعود الى الوراء ولو للحظة واحدة ! ومع ذلك يتمنى عم توفيق ألا ينفرط هذا العقد الجميل لأن حياته لاتستطيع أن تتألق بمفردها حبـة حبـة ، حتى لو كانت واسطة العقد مثل سندس !

فجأة تخيــل عم توفيق أنه ســمع رنين التليفون ، فتجاوبت دقات قلبـــه الخائفة معـه اذ من يطلبه الآن وقد تجاوزت الساعة الثانية صباحا ؟! لكنه لم يكن مجرد خيال بل دقات حقيقية نهض من سريره حافيا على أثرها ليجرى الى الصالة ويرفع السماعة :

ـ ألو ٠٠٠٠ أهلا يا أستاذ ٠٠٠٠ خيرا ٠٠٠٠ خرجت منذ ربع ساعة ٠٠٠٠ ولماذا لم تمنعها أو تلحق بها ؟! ٠٠٠٠ كيف ؟! بهذه البســاطة وفى هذه الساعة من الليل ؟! ٠٠ كارثة ! ٠٠٠٠ لاتعرف ؟! ٠٠٠٠ كارثة !! وربما تعرض لها أحد أو تصاب فى تصادم وهى فى هذه الحالة ؟! ٠٠٠٠ يارب اجعل العواقب سليمة ٠٠ انها نور عيونى ٠٠ مع السلامة !!

وضع السماعة ليسقط جالسا على الأريكة الأسيوطى فى حين لمح أشباحا حوله فى ضوء المصـــباح السهاوى ٠ كانت زوجته عند باب غرفتها وسحر وسلوى بملابس النوم عند الباب المقابل ٠ أضاءت سنية المصــباح النيون لتتقدم وتجلس أمامه سائلة اياه وكأنها تعرف الاجابة مقدما :

ـ خيرا ياتوفيق !! ماذا جرى ؟!

ـ سندس يا سنية !!

ـ مالها ؟!

التقط أنفاسه وأشعل سيجارة من علبة مجاورة :

ــ تركت البيت بعد سوء تفاهم ٠٠ وأمير لايعرف الى أين ذهبت !!

ــ لاتخف عليها !! من تخرج من بيتها فى ساعة كهذه تعرف جيدا الى أين ذاهبة !!

ــ هل هى قادمة الى هنا ؟!

ــ الله أعلم !!

ــ ماذا تقصدين ؟!

ــ لا شىء !

نهض ليدور فى الصالة ويدق كفا بكف :

ــ يارب اجعل العواقب سليمة ! يارب اجعل العواقب سليمة !!

تقدمت سحر لتقترب من أبيها فى دورانه :

ــ ولماذا لم يمنعها أمير ؟! هل طلقها ؟!

ــ فأل الله ولا فألك !

جاءت سلوى لتجلس الى جوار أمها :

ــ الغائب حجته معه !

ـ آه لو أعرف أين ذهبت !! هل أتصل بعماد ؟!

ابتسمت سحر لأمها ابتسامة ذات مغزى :

ـ احتمال كبير ! كان مستودع أسرارها فى الفترة الأخيرة ! وربما كان فى انتظارها !

دق الأب بقبضته الجدار أمامه :

ـ أى لسان سيمس سندس .. سأقطعه على الفور !
نهرت الأم سحر :

ـ اسكتى يا سحر .. لم يأت من ورائها سوى وجع الدماغ .. حتى بعد أن وجدت خاتم سليمان !

تضرع الأب ناظرا الى أعلى :

ـ يارب .. يارب !

فى نفس اللحظة قطع سكون الليل صوت محرك سيارة تقترب من البيت . ومضت عينا الرجل ببريق شبابى :

ـ انها عربتها !! أعرف صوت محركها !!

صمت صوت المحرك فهرع الأب الى باب الشقة ليفتحه وليرى سندس تصعد على الدرجات الحجرية وهى تحمل حقيبة كبيرة . انطلق اليها ليحمل الحقيبة بذراع ويحتضنها

بالذراع الأخــــرى فمالت برأسـبــها على كتفه وبكت فى صمت :

ـ ماذا جرى حبيبتى !! خيرا ان شاء الله !!

دخلت مع أبيهــا الذى وضع الحقيبة أرضــا ، وأغلق الباب ليسير محتضنا اياها الى أن أجلســـها على الكنبـة الأسيوطى · أسرعت سحر وسلوى للالتفاف حولها فى حين لم تغير الأم من جلستها · سألتها سحر وعينــاها تنضحان بنشوة التشفى :

ـ ماذا جرى ياسندس ؟! تركناك في المسرح على خير ما يرام ؟!

نظرت بمنتهى الحسم اليها :

ـ أريد أن أنفرد ببابا ؟!

تكهرب الجو فحاول الأب التخفيف من وطاته :

ـ هيا ·· الى الفراش ·· الساعة الآن الثالثة صباحا ·· يكفى تعبكن طوال النهار !!

نهضت الأم منتفضة فى طريقها الى غرفتها :

ـ ونحن لايهمنا أن نسمع شيئا منك أو عنك !!

لم تصمت سندس :

ـ وأنا بدورى لم أجبر أحدا على الاستماع لى !!

تأكدت سنية أن سندس قد أصبحت امرأة مختلفة تماما فدخلت لتصفق الباب وراءها ، وتبعتها ابنتاها بنفس الأسلوب ، لكن سندس كانت متأكدة أنهن آذان صاغية خلف الأبواب فخفضت من صوتها :

ـ لا أريدك أن تصدم يا بابا !! فأنا كفيلة بمواجهة أى موقف ؟!

كتم الأب شهقته :

ـ هل طلقك ؟!

ـ نعم .. لكننى لست حزينة !! فقد ملكت زمام حياتى فى نهاية الأمر !! فلا يعقل أن أترك ذل طنط سنية لأقع فى عبودية الأستاذ أمير !! لا شىء يساوى ثمن الحرية مهما كانت ضريبتها !!

تعجب الأب لتماسك ابنته فدعا لها فى قلبه أن يحفظها الله من كل سوء :

ـ كل شىء يمكن اصلاحه ! فهو يحبك ولا يستطيع الاستغناء عنك !!

ـ لكنه استغنى عنى فعلا ! وسأثبت له قدرتى على تسيير دفة حياتى بدونه !!

ـ في الصباح سآخذك اليه وستعود المياه الى مجاريها باذن الله !

تضايقت من البساطة التى يتكلم بها :

ـ لن استجدى أحدا ! فقد انتهت أيام الاستجداء ! واذا كنت تشعر أننى حمل ثقيل عليك ٠٠ فيمكننى الانتقال الى فندق لحين الانتهاء من تأثيث الشقة التى اشتريتها !

أمسك يدها وقبلها وقد اغرورقت عيناه بالدموع :

ـ اياك أن تقولى مثـل هذا الكلام ! اذا لم تحملك الارض سأحملك على رأسى !! فلن يتكرر الماضى أبدا !

تساءلت سندس فى نفسها : هل كان من الممكن أن تفيض عواطف أبيها بهذا الشكل الحار لو أنها ظلت سندس البائسة . الضائعة ، الفاشلة ؟! للنجاح ألف أب أما الفشل فيتيم الأم والأب ! لم تهتم باجابة السؤال اذ اعتادت الآن أن تتحرك على أرض الواقع الراهن بكل صلابتها :

ـ قد تندهش يابابا اذا قلت لك أننى لم أكن مقتنعة بفكرة سندريللا كما تصـورها أمير !! فهو لم يضف اليها جديدا سوى عنصر الابهار لجذب الجمهور أما روح العصر الذى نعيشه فلم تترك لنفسها أية بصمة على العرض المسرحى !!

احتار الأب فى استيعاب أفكارها :

ـ أعرف يا حبيبتى أنك مثقفة جدا ٠٠ لكننا نقـدم عرضا لكل الناس وليس للمثقفين فقط !!

لو شعر أبسط الناس بنبض العصر فى العرض لارتبطوا به أكثر .. لكن الناس كانوا يأتون للتسلية فقط !!

ـ وما المسرح سوى تسلية بريئة !

ـ هذه فكرة كانت سائدة أيام كشكش بيه وعلى الكسار ! لكن حتى نجيب الريحانى ثار على كشكش بيه وقدم بعد ذلك مسرحياته وأفلامه الخالدة !! وأنا أيضا أريد أن أثور على منهج أمير فى الاستعراض !! أريد للناس أن يتسلوا ويستمتعوا وأيضا أن يتعلموا ويفكروا !! لابد أن أغير طريقة تفكيرهم ونظرتهم الى الحياة !

ـ أخشى عليك يا حبيبتى من نطح الصخر !

ـ أية فرقة مسرحية تتمنى أن أعمل معها وبشروطى.. بالاضافة الى الأفلام التى سأمضى عقودها ابتداء من الغد !

ـ لكن قبل أى شىء آخر .. لابد أن نفكر فيما ستقوله الصحف حول طلاقك وانفضاض الشركة بينك وبين أمير وانهاء العرض بعد آخر ليلة تم حجزها !!

ـ فلتقل الصحف ما تشاء من حقائق أو شائعات .. حتى الهجوم يمكن أن يكون فى صالحى ! يكفى أن أكون فى دائرة الضوء بصفة مستمرة !

نظر اليها فى حيرة واعجاب :

ـ ماذا يمكن أن أقول لك يا حبيبتى سوى أن يحفظك الله ويبارك خطواتك !

رن جرس التليفون فسمعت سندس حركة خلف الأبواب فتأكدت أن عمليات التصنت مستمرة . رفع الأب السماعة :

ـ آلو .. أهلا يا أستاذ .. الحمد لله وصلت بالسلامة .. لا أعرف على وجه التحديد .. لحظة واحدة !

وضع كفه على السماعة وقال هامسا :

ـ يريد أن يسألك : هل ستستمرين فى العرض حتى نهاية الليالى المحجوزة أم يأمر باعادة ثمن التذاكر الى أصحابها ؟!

مدت سندس يدها وأمسكت السماعة ببساطة :

ـ آلو .. أهلا أمير .. طبعا سأستمر فى العرض حتى آخر تذكرة محجوزة .. فأنا لا أعض اليد التى تمتد لانقاذى ومساعدتى ! وهو كذلك .. أبدا .. شكرا .. مع السلامة !!

لم تخف ملامح الجدية والصرامة والتجهم على وجهها وهى تضع السماعة ومع ذلك قال الأب :

ـ ألم تلاحظى اللهفة فى حديثه الذى اخترعه كى يطمئن عليك ؟! ستعود المياه الى مجاريها باذن الله !

استرخت سندس فى جلستها بعض الشىء :

- الملهوف على زوجته أو حتى على مطلقته لايتركهـــا تخرج هكذا الى الشارع بعد منتصف الليل !!

- جل من لايسهو !

- أمير يابابا طفل مدلل ولد وفى فمه ملعقـــة من ذهب !! اعتاد أن يرى كل من حوله تحت أمره !! طلباته أوامر مجابة فى الحال ! فلم يعد يرى سوى نفسه والآخرون عنده مجرد ظلال له !! وأى ظل يتحول الى نـور لابـد أن يعشى بصره ويفقده الرؤية ! ولذلك لم يحتملنى !! لكن أرجو أن تعلمه الأيام القادمة شـــيئا من الأشـــياء المخيفة التى علمتنى اياها الأيام الماضية !!

غمر الحرج الأب فلم يعرف هل تقصد بالأيام الماضية تلك التى عاشتها معه أم تلك التى عاشتها مع أمير ؟! لكنه نهض :

- هيا يانور عينى .. الى النـــوم .. قضيت يوما عصبيا لا أعاده الله !!

نهضت بدورها وهى تكاد تتمطى :

- هل لاتزال غرفتى فى انتظارى أم شغلت ؟!

ـ غرفتك فى عينى .. كنت أنام فيها أحيانا عندما يشدنى الحنين اليك !

قبلته فى وجنته بابتسامة افترشت ملامحها الدقيقة :

ـ تصبح على خير !!

قبلها بقلب يفيض حبا وحنانا :

ـ وأنت من أهله !!

ثم أسرع ليأخذ حقيبتها ويدخلها غرفتها التى دخلتها ليخرج ويغلق الباب عليها . فتحت الحقيبة وغيرت ملابسها وهى تدور بعينيها فى الغرفة : نفس المصباح الخافت الذى طالما أجهد عينيها وهى تقرأ كتب الفن قبل أن يداعب النعاس عينيها .. نفس الفراش الصغير المتواضع .. وصورتا مارجو فونتين وأنا بافلوفا اللتان كثيرا ما أثارتا سخرية سحر وسلوى من تلك التى تتمنى أن تصبح فى شهرتهما ذات يوم ! كم كانت هذه الغرفة خير مدرسة لها : مدرسة القراءات المستفيضة والتأملات العميقة والطموحات الصاعدة برغم كل أشكال القهر والذل خارج بابها ! بل انها تعلمت من القهر والذل فضيلة الصبر والتواضع وقوة الاحتمال وامتصاص الصدمات ومواجهة التحديات بالعلم والعمل والثقافة والارادة حتى فاقت أحلامها التى تحققت كل ما تمنته فى هذه الغرفة الصغيرة !

ألقت بنفسها تحت الغطاء الذى انكمشت تحته طلبا للدفء ، لكنه سرعان ما سرى فى أوصالها لتتمطى وتتثاءب ومشاهد التحديات القادمة تتراقص فى غموض أمام ناظريها حتى غمرتها أمواج النعاس .

★ ★ ★

(٨)

انفجرت أنباء الطلاق على الصفحات والمجلات الفنية ٠ كانت صدمة بالنسبة للمراهقين والمراهقات اذ كان ثنائى سندس وأمير فى نظرهم حلما تجسد وســـار بينهم على قدمين ! وطوال أداء سندس لدورها فى الليالى المحجوزة كان الأمل فى التئـام الشـــمل يراود جميع الأطراف المعنية باستثناء سحر وسلوى وأمهما ٠ لكن الليالى انتهت وتركت سندس الفرقة الى فرقة صغيرة معظمها من الهواة مما أثار دهول الجميع بما فيهم أمير خاصة وأنه كان يعلم أن فرقة آمون الاستعراضية وهى الفرقة القوية المنافسة له قدمت لها عقدا على بياض كى تضع فيه كل شروطهـــا والمبالغ التى تطلبها ، ومع ذلك أصرت سندس على الرفض ثم انضمت الى فرقة « الطليعة » التى لايرد ذكرها فى الأوساط الفنية والنقدية الا نادرا ٠

لم يستطع أمير أن يفسر سلوكها هذا الا بأنها قررت أن تكثف جهــــودها فى السينما لسهولتها وغزارة العائد المادى بالنسبة للمسرح الذى لايسمح للفنــان بأن يمرض ولو لليلة واحدة · خاصة وأنها وقعت ثلاثة عقود لثلاثة أفلام استعراضية · واستراح أمير لهذا التفسير وشرع فى أداء بروفات أوبريت « ذات الرداء الأحمر » بالاضافة الى اهتمامه البالغ بلقاء الصحفيين لاجراء أحاديث حول انفصاله عن سندس واكتشافه لبطلة الأوبريت الجديدة · لكن الشيء الذى أقلقه كثيرا أن سندس أصبحت متواجدة فى حياته ، طيفا وروحا أكثر مما كانت أثناء عملها بالفرقة ، وهو الذى ظن أنه تخلص من أسطورتها الى الأبــد · تذكــر كل لمحــة ونظرة وايماءة ولفتة ، وحركة وسكنة لها فى أثناء قيام سحر ببروفات « ذات الرداء الأحمر » · أدرك أن هنــاك شيئا اسمه القبول لايستطيع الفنان أن يصنعه لنفسه أو للآخرين لأنه هبة يمنحها الله للانســـان منذ ميلاده ! فبرغــم كل اجتهادات سحر لم تحقق الحلم الذى يتمناه أو الذى حققه من قبل بسندس ! ومع ذلك اعتبره تحديا له لابد أن يقهره كى يحقق ما كتبه عنه صحفى صـــديق عندما وصفه فى مقال له بأنه « أمير التحديات الصعبة » !

لكن التحدى ازداد صعوبة عندما اكتشف أن أحـــد اهتمامات سحر بالتفانى فى القيـــام بالدور هو محاولاتها المتجددة للايقاع به فى غرامها برغم كل مظـــاهر التجاهل

والتجنب التي واجهت تلميحاتها ونظراتها وحركاتهـــا ! اذ ليس هكذا تسير مثل هذه الأمور فى نظر أمير ! فالحب عنده لابد أن يتدفق مثل الماء والهواء دون أحـــد يحاول تحريكه والتخطيط له ! وسحر عنده مجـــرد أداة يريد أن يثبت بها للآخرين قدرته وعبقريته على مواصلة اكتشـــاف النجوم واستمرار الاعجاز الذى لايقدر عليه الآخـــرون ! وهو ما سيحققه بها برغم كل الصعوبات التى تتراءى أمامه على الطريق ! فهو ليس من النوع الذى يندم على الماضى لأن المستقبل هو قضيته ، وان كان قد تضايق من الاحتكاك الذى وقع بين سحر ومساعده عماد الذى هدد فى النهاية بترك الفرقة ، ونظرا لأنه لايقبل التهديد من أحد فقد ترك عماد يهجر الفرقة . لكن ضيقه بدأ يوم علم بانضمامه الى فرقة سندس مما أكد وساوسه التى أثارتها سحر من قبل عن وجود حب جديد بين عماد وسندس ! ظن عماد أن فرقة أمير ستفقد كاتبها المفضل ، لكنه لم يكن يعلم أن أمير حلمى يمكن أن يستغنى عن أى انسان ! ومع ذلك ظلت الأسئلة الحائرة تتراقص أمام عينيه : هل يمكن أن تفضل سندس عمادا بسمرته ونحافته وشـعره الكث الأكرت وشـــاربه الشائك على وسامته وسحره وبشرته المرمرية وشعره الذهبى وعينيه الخضراوين ؟! هل يمكن أن تجعـــل من عماد فتى أحلامها وهو الذى كان مجرد مساعد له فى الكتابة والاخراج لايســـتطيع أن يعيش الا فى ظله ؟! هل يمـــكن هجـــر الأرستقراطية والرفاهية والثقافة الفرنسية الى المستويات

الشعبية والحياة المتواضعة ؟! اذا كان هذا صحيحا فان الطيور على أشكالها تقع !! ومع ذلك ظل أمير وفى نفســه شيء من سندس لم تستطع سحر بكل حيلها ومؤامرات أمها أن تمحه !

أما سندس فكانت ســعادتها غامرة عنـدما وجدت نفسها لأول مرة وهى تسير دفة حياتها بارادتها ، وذلك برغم كل احتمالات المخاطر التى قد تنشأ عن هذه المغامرة التى لم تتسلح فيها الا بثقافتها وخبرتها وعلمها واسمها واصرارها ! أما الدعم المالى فكان متواضعا لدرجة أن مدير فرقة الطليعة لم يصدق أن سندس معبودة الجماهير يمكن أن تتنازل عن عرشها كى تعمل مع فرقة معظمها من الهواة الذين يلتحقون بها ثم يهجرونها عندما تتخايل أمامهم أولى بوادر الاحتراف ! لكن نظرية سندس التى لم يستوعبهـا معظم أفراد الفرقة أن الفن الجيد المتقن لابد أن يصنع المال ، لكن المال الوفير قد يعجز عن صنع الفن الجيد ! ونظرا لثقتها فى نفسها فقد وضعت المبالغ التى حصلت عليها من عقود الأفلام تحت تصرف الفرقة فيما يتصـــل بالعرض الجديد الذى لازالت سندس تبحث عنه ! كانت تريد عرضا يليق بنجاحها المبهر فى « ســندريللا » ، وكانت مقولة أمير المفضلة تتردد كثيرا فى أســماعها ووجدانها : الاحتفاظ بالجلوس على القمة أصعب ألف مرة من الصعود اليها !

حـاولت ســندس اثنــاء عمــاد عن عزمه بالالتحاق

بفرقتها واجباره على العودة الى أمير حتى لايظن أنها مؤامرة ضده ، لكن عمادا أقنعها أنه لن يعود طالما أن فى الفرقة امرأة اسمها سحر كانت سذاجته فى الماضى قد صورت له أنها تحبه فوقع فى غرامها فى حين أنها لا تحب سوى نفسها ٠ وعندما انفردت بأمير وفرقته وفازت ببطولة الأوبريت الجديدة ، سارعت الى اذلاله حتى يفقد كل تأثير له على أمير ! فأوهمت أميرا بأنه قادر على كتابة النص الدرامى والغنائى للأوبريت بنفسه وبمفرده ، وألا يسمح لأحد بالتدخل فى توجيهات اخراجه اذ أنه لايوجد من يعرف أو يفهم أفضل منه ! وعندما شعر عماد بأن وجوده أصبح مثل عدمه فى الفرقة واجه أميرا بالأمر الواقع لكنه لم يجد استجابة منه لأن سحر كانت قد نجحت فى حبسه تماما فى شرنقة نرجسيته ذات الغلاف السميك المتحجر ! وعندما أراد أن يهزه كى يخرجه منها وذلك بتهديده بالاستقالة لم يجد سوى ابتسامة ساخرة على وجه أمير الذى قال له بمنتهى العنجهية : لم يخلق الذى يهدد أمير حلمى بالاستقالة أو غيرها !! ومن يريد ترك الفرقة سأتى بأفضل منه ألف مرة !! وأظن أن درس سندس لايزال ماثلا فى الأذهان ٠٠ مع العلم بأن سندس كانت بطلة الفرقة وأنت مجرد مساعد لى سواء فى التأليف أو الاخراج !!

أدركت سندس أن أميرا سيسقط مختنقا بنرجسيته ، غمرها الأسف والأسى اذ لم تنس فضله عليها ، لكن ما العمل مع انسان لا يستمتع الا بالحياة مع من يغذون غروره

ويضخمون من ذاته وصولا لتحقيق مآربهم ؟! ومع ذلك لم تشغل نفسها كثيرا بهذه القضية اذ كان لها من المشاغل والهموم ما يكفيها وفى مقدمتها البحث عن نص لاستعراض يهز العقل والوجدان برغم ضيق ذات اليد فى الانتـاج ، وقيامها بتمثيل ثلاثة أفلام فى وقت واحد وترقب بقيـة المنتجين صداها عند عرضها ليقبلوا عليها أو يدبروا عنها ! كانت تعيش امتحانا عسيرا ، وحمدت الله على مجيء عماد ووقوفه الى جوارها فى وقت كانت فى أشـد الحاجة لمن يفهمها ويؤازرها · فهـو يملك قدرة أمير فى الاخـراج الاستعراضات وان كان يفوقه فى مجال التأليف برغم أنه لم يتعلم فى فرنسا بل ولم يغادر مصر على الاطلاق ولا يملك سلاحا سوى بكالوريوس معهد الفنون المسرحيـة قسـم الاخـراج !

ذات مساء عادت سندس من تصوير أحد استعراضات أفلامها الى مقر الفرقة التى كانت تسـتأجر مسرح أحـد الأندية الرياضية ، كانت تشعر بالرضا عن نفسـها لأن صدى الاستعراض كان رائعا لدى المخـرج وكل العاملين فى الفيلم · كما لقى عماد جانبا من المديح والاعجاب بحكم أنه مخرج الاستعراض الذى تفانى ليل نهار فى الاتقـان والابداع حتى خرج على هذه الصورة ، لدرجة أن مخرج الفيلم صرح بعد آخر لقطة بأن هذا الاسـتعراض وحده كفيل بانجاح الفيلم كله !

جلست سندس فى المكتب الصغير الملحق بمنصة المسرح وأمامها عماد وقد امتزج الارهاق بالسعادة على ملامحها • سألته :

ـ ألم تعثر بعد على موضوع جديد ؟!

ـ فكرت فى موضوعات كثيرة لكن لم أقتنع بأى منها !!

ـ مثل ؟

ـ مثل كارمن •• وحسن نعيمة •• وقيس وليلى •• وروميو وجولييت !!

ـ على أساس اعادة صياغتها بالكلمة والحركة !!

ـ بالاضافة طبعا الى اسقاط روح العصر عليها !! لأننى متفق معك أن عيب سندريللا التى قدمناها كانت خالية من أية مفاهيم معاصرة •• لكن ابهار أمير أغرق الناس فى متعة التسلية والانتاج الضخم •• فلم يهتم أحد بالفكر !! والفكر لايمكن أن ينفصل عن الفن الحقيقى !!

ـ وما العيب فى هذه الموضوعات التى لم تقنعك ؟!

ـ العين بصيرة واليد قصيرة !! كلها فى حاجة الى انتاج ضخم لايقدر عليه سوى أمير !!

ـ دعك من حكاية الانتاج الضخم هذه ! نريد فكرة تضرب على الأوتار المشدودة داخل الناس !

انتفض عماد واقفا ثم دار فى حيز الغرفة الضيقة :

ـ وجدتها !

ابتسمت سندس فأضـــاء بريق عينيهـا السوداوين الواسعتين :

ـ الى بها يا أرشميدس !!

ـ لماذا لانعيد تقـــديم ســـندريللا كبداية لجذب الجمهور الى ان سندريللا قصة لكل العصور والبلاد وليست ملكا لأحد ٠٠ كما أن الجمهور يتمنى أن يراك مرة أخرى فى دورها بعد أن أوقف أمير العرض قسرا وعنوة !! كان يمكن أن يستمر سنوات عديدة !!

أشاحت سندس بوجهها بعيدا :

ـ سيظن أمير بالفعل أننا نتآمر ضده ٠٠ فى حين أننا نعمل بروح الابداع والتفوق على أنفسنا قبل التفوق على الآخرين ٠٠ وليس بروح الحقد والانتقام !

تســـاءل عماد فى ســخرية لم يخفها وقد عاد الى جلسته :

ـ اتظنين أن أحدا على وجه هذه الأرض لن يمس أسطورة سندريللا من قريب أو بعيد بعد أن وضع أمير بك بصمته عليها ؟!

ـ لكنها فى حاجة الى انتاج ضخم أيضا ؟!

ـ لو عثرنا على الفكرة التى تحلمين بها للضرب على الأوتار المشدودة داخل الناس لما احتجنا الى تكاليف كبيرة !!

ـ وهل هناك جديد يمكن اضافته الى سندريللا التى استهلكت تماما ؟! كما أن النص الجديد لابد أن يكون مختلفا تماما عن النص السابق حتى لاندخل فى مشاكل مع أمير !! مشاكل نحن فى غنى عنها !!

قفز عماد من جلسته مرة أخرى وهو يصيح :

ـ وجدتها ؟!

لم تبتسم سندس هذه المرة :

ـ الى بها يا أرشميدس !!

ـ كلنا متفقون أن هناك تشابها واضحا بين سندريللا وقصة زواجك من أمير !!

ـ لكن الأمير لم يطلق سندريللا !!

ـ هذه هى الفكرة الضاربة على أوتار القلوب !

قفزت سندس بدورها وقد احتوت شعرها اللامع الناعم بكفيها :

ـ وجدتها أنا أيضا ؟!

ـ هل تفكرين فيما أفكر فيه ؟!

ـ فى الأسطورة مشاكل سندريللا انتهت بزواجها من الأمير ٠

قاطعها عماد ليكمل :

ـ وفى الواقع بدأت مشاكلها بعد الزواج !

ـ فروق البيئة والتربية والطبقة لابد أن تحطم مثل هذا الزواج !

ـ لكن هل يعنى هذا نهاية سندريللا فى حالة هجر الأمير لها ؟!

ـ هذا يتوقف على شخصيتها ٠٠ فاذا كانت مسلحة بالوعى العميق بالواقع فانها تستطيع أن تتجاوز المحنة ٠٠ بل ويمكن أن تستقل بنفسها !!

ـ واذا تمسكت بالأوهام والأحلام الكاذبة فلابد أن تتحطم على أرض الواقع !! لكن أى المصيرين تفضلين ؟!

ـ المصير الأول بطبيعة الحال ! فهو ما أقوم به الآن !!

ركز عماد بصره على الجدار الأبيض أمامه وكأنه يشاهد عرضـــا :

ـ هكذا يبدأ العرض ٠٠ الأمير وسندريللا بعد عـدة شهور من زواجهما الأســـطورى ٠٠ وقد ذهبت الســكرة وجاءت الفكرة ٠٠ تتوالى المشاكل وتتعقد المواقف وتتصاعد!!

ـ وبهذا نستغنى عن بعض الاستعراضات المكلفة ٠٠ ونركز على المواقف الدرامية المثيرة فى تقلباتها وتحولاتها !!

كاد عماد أن يطير نشوة وانبهارا :

ـ بماذا نسمى الأوبريت ؟!

ـ الاسم لايهم الآن ٠٠ المهم أن يختمر الموضـــوع تماما !!

ـ اختمر وسأسهر عليه حتى مطلع الفجر !!

ـ وأنت بهذا الارهاق ؟!

ـ الفكرة تحـــوم حولى الآن ولابد أن أقبض عليها ! ما اسم الأوبريت الجديدة ؟!

ـ سندريللا طبعا ٠٠

ـ لايكفى ٠٠ لانريد أى تشابه بيننا وبين أمير !!

ـ سندريللا القرن العشرين ؟!

ـ القرن العشرون لم يتبق منه سوى عدة سنوات !!

ـ سندريللا المصرية ؟!

ـ على وزن دلال المصرية !! مستهلك !

ـ سندريللا الجديدة ؟!

ـ على وزن « القاهرة الجديدة » لنجيب محفوظ ٠٠ الاسم لم يعجب صـــلاح أبـو سيف عندما أخرج الرواية للسينما فأسماها « القاهرة ٣٠ » !

ـ غلب حماري ٠٠ ذكرت لك ثلاثة أسماء لم تعجبك!!

ـ نريد اسما يثير التساؤل وفي الوقت نفسه يشد الأسماع والأبصار !!

دقت بكفها على زجاج المكتب :

ـ وجدتها ٠ واياك أن ترفض أو حتى تعلق !!

ـ أمرك يا مستبدة !!

انطلق مقهقها للحظة كتم بعدها أنفاسه لمجرد سماعه :

ـ سندريللا ٢٠٠٠ !

ـ لن أرفض ولكن سأعلق ٠٠ رائع ٠٠ رائع ٠٠ اسم مثير ٠٠ غامض لسندريللا التي تمسك بنهاية القرن العشرين وبداية الواحد والعشرين !! ويمكن أن يستمر عرضـــها باذن الله حتى عام ٢٠٠٠ !!

ـ وماذا تنوى أن تفعل ؟!

ـ سأذهب إلى البيت فورا ·· اشتعلت الفكرة وأخاف أن أحترق بها ·· لن ينقذنى منها أو ينقذها منى ســـوى سهرى وتعبدى فى صومعتى حتى بزوغ ضوء النهار !!

ردد البـــاب دقات خفيفة دخلت على أثرها صحفية شابة ترتدى البنطلون الجينز تحت بلوزة صوفية حمراء وهى تهز رأسها :

ـ مساء الخير ·· جئت حسب اتفاق حضرتك معى !!

أشارت سندس الى المقعد المقابل للمكتب :

ـ وأنا مستعدة ·· تفضلى !!

جلست الصحفية وعماد يتحرك نحو الباب :

ـ سأتصل بك لو احتجت لأى استشارة !!

ـ تحت أمرك فى أى وقت !!

خرج عماد وسندس تلمح نظرات الصحفيـــة اليـــه واليها من طرف خفى · فاجأتها بكلماتها :

ـ لا أريد أسئلة من طراز « أين ترعرعت سيدتى ؟! »!

ترددت الفتاة للحظات ثم قالت وهى تدير جهـــاز التسجيل الصغير :

ـ أدلى الأستاذ أمير حلمى بحديث طويل فى مجلة « الكواكب » وكان فيه جزء كبير عنك بصفة شخصية !! والجمهور مشتاق لمعرفة ردك عليه !! فهو يحتوى على كثير من علامات الاستفهام !! وأتمنى أن تفوز مجلة « النجوم » بهذا السبق الصحفى !

ـ مهمة الفنان أن يبدع قدر طاقته ٠٠ لا أن يتحول الى بوق دعاية أجوف لنفسه !! أو يكرس وقتــه للرد على ما يقال عنه !!

لم تيأس الصحفية العنيدة :

ـ قال أمير حلمى انه يكتشف النجمة ويجعل منها معبودة للجماهير لكن سرعان ما ينتقل الى اكتشــاف جديد لأنه لايحتمل التكرار أو الاحتكار ! هذا الكلام يمسك فى الصميم فكيف لاتردين عليه !!

ابتسمت سندس لقدرة الفتاة على استفزازها :

ـ كل ما قاله أمير حلمى صحيح ٠٠ فهو بهذا يعطى النجمة التى اكتشفها فرصة تجديد دمائها من خلال التعامل مع غـيره من الفنــانين ٠٠ وبذلك لاتقع فى ملل التـكرار أو قيد الاحتكار الذى يحيل الفنان الى موظف تقليـدى فى مصلحة حكومية يؤدى فيها نفس العمل طوال حياته برغم الترقيات التى قد يحصل عليها !

لم تتصور الصحفية سندس بهذا الذكاء واللماحية :

- قال أيضا ان تعليمه فى فرنسا قد يعوق فى بعض الأحيان فهم طبيعة من يتعامل معهم .. ولذلك كثيرا ما يقع سوء تفاهم بينه وبينهم !! فهل كان هذا هو السبب فى الطلاق والانفصال بينكما ؟!

- الطلاق موضوع شخصى لا يهم الجمهور الواعى .. أما عـدم قدرته على فهم طبيعة من يتعامل معهم .. فهـذه مشكلته ولن يحلها أحد سواه !!

استجمعت الفتاة كل قدراتها على الاستدراج :

- هل يحق للفنان أن يصف نفسه بالعبقرية ؟!

- القانون لا يحاسب أحدا يصف نفسه بأية صفة .. الا اذا كان وصفه يحمل فى طياته شيئا مخالفا للقانون !! لكن الفنان العبقرى هو الذى يتواضع ويخجل من نفسه اذا وصفه الآخرون بالعبقرية !

- ما شعورك وأختك الفنانة سحر تقوم ببطولة أوبريت أمير حلمى الجديدة ؟!

- أتمنى لها كل توفيق ونجاح ! فالفنان الفاشل أو الحقود هو الذى يتمنى الفشل للآخرين !

- هل انضمام الفنان عماد أديب الى فرقتك يعنى أن الاتفاق بينكما كامل بحيث يمكن أن ينتهى نهاية سعيدة !!

أدركت سندس في الحال ما ترمى اليه الفتاة :

ـ عدنا الى الأسئلة الشخصية ٠٠ ومع ذلك سأضع بعض النقط على الحروف ٠٠ فأنا لم أتعلم في فرنسا ٠٠ بل لم أغادر مصر على الاطلاق ٠٠ لكنني أرفض الفكرة الساذجة التى تحيل أى تعاون بين أى فنان وفنانة الى مشروع حب وزواج ٠٠ وكأن العلاقة بين الرجل والمرأة قاصرة على هذا النشاط الغريزى وحده ! بل ان الزواج فى أحيان كثيرة يكون السبب فى افساد التعاون الحقيقى المثمر بين الفنانين والفنانات ! أما الأستاذ عماد أديب فهو أخ عزيز وصديق كريم وزميل موهوب ٠٠ وله مطلق الحرية فى أن يعمل حيث يستطيع أن يبدع وأن يحقق ذاته ٠٠ وهذه هى الفرصة التى تمنحها فرقتنا لكل أعضائها دون أية قيود أو عقد أو حساسيات !!

لم تتصور الفتاة أن تتدفق سندس بهذا الشكل التلقائى فلم ترد أن تضيع الفرصة :

ـ لابد أنك تحضرين لعمل مسرحى جديد !!

ـ أنا مشغولة هذه الأيام بالعمل فى السينما !!

ـ لكن هذا لا يتعارض مع الاعداد لعمل مسرحى تعود به سندس الى جمهورها المتعطش لفنها !

ابتسمت سندس للدهاء الصحفى التقليدى :

– العمل لا يـزال مجرد فـكرة فى دور التكوين ٠٠ ولا أحب الحديث عن شىء لم يكتمل بعد ٠٠ فربما عدلنا عنه تماما الى غيره !!

– هل يمكن أن تعود المياه الى مجاريها مرة أخرى بحيث نتوقع عملا مشتركا بينك وبين أمير حلمى ؟!

– عدنا الى الأسئلة الشخصية مرة أخرى ٠٠ ومع ذلك أقول لك ان الحياة علمتنى أنه ليس فى الامكان أبدع مما كان ٠٠ الواقع الراهن هو الأرض الصـلبة الوحيدة التى أستطيع التحرك عليها !!

– هذا برغم أن أوبريت « سـندريللا » كانت حلمـا أثيريا ؟!

– أعتقد أن الحلم لابد أن يعيد صياغة الواقع ٠٠ والا أصبح مجرد وهم لا أساس له من الصحة !

– وهل سنرى هذا الاتجاه فى العرض الجديد ؟!

أخفت سندس اعجابها بذكاء الفتاة :

– كما قلت لك ٠٠ لا أحب الحديث عن شىء لم يكتمل بعد !!

– ما الظاهرة التى تتمنى أن تختفى من الوسط الفنى ؟!

– النرجسية التى تصـل فى أحيان كثيرة الى جنون العظمة ! ومطاردة الصحافة للفنانين بحثا عن أسرار حياتهم

الشخصية ‥ الجمهور يهتم أو يجب أن يهتم بالفنان لفنه لا لشخصه !

نهضت سندس وهى تنظر الى ساعة يدها الذهبية الدقيقة :

ـ أعتقد أن هذا يكفى ‥ فلدى عمل الآن !

نهضت الصحيفة بدورها وهى تمد يدها سعيدة قانعة :

ـ أشكر لك كرمك الغامر ‥ لم أكن أحلم بمثل هذا السبق الصحفى !

ضحكت سندس وهى تشد على يدها :

ـ لكنه حلم أعاد صياغة الواقع ! مع السلامة !

خرجت الصحفية وخلفها سندس لتجمع أعضاء الفرقة المتناثرين بين ردهات المسرح اذ طرأ على ذهنها بعض الصور واللوحات الايقاعية التى أرادت أن تجربها معهم !

***

(٩)

ابتلعت دوامة العمل أمير ومن معه فكاد أن ينسى سندس وأيامها • استمات فى البروفات الشاقة المضنية كأنه يخوض معركة المصير ، مما أدهش العاملين معه خاصة عندما أصابه الشحوب والهزال والنحافة من جراء الاجهاد المتواصل منذ بداية اليوم الى ما بعد منتصف الليل • أما سحر فكانت فى قمة سعادتها ونشوتها اذ تأكدت من أن تفانى أمير فى عمله ، هو من أجل اكتشافها كبطلة للعمل ، وبالتالى من أجل حبه المتنامى لها • وكثيرا ما كانت تغمض عينيها قبل النوم على صورة أمير وهو يعلن زواجه منها أمام الجماهير بعد نزول الستار الأخير على عرض الافتتاح ، كما فعل مع سندس ليلة افتتاح « سندريللا » ! كيف لا وأمير هو ملك المفاجآت وسلطان العجائب ؟!

ظل هذا الحلم الأثير يطارد سحر في صحوها ومنامها لدرجة أنها هجرت النوم مع أختها لتنام في غرفة سندس التي تركت البيت الى شقتها الجديدة المطلة على نيل الجيزة ! كانت تتمنى أن تصاب بعدوى سندس والحصول على حظها حتى النهاية باستثناء الأسباب التي أدت الى طلاقها من أمير وانفصالها عن فرقته ٠

أما سلوى فلم تستطع ان تمنع نفسها من مقاومة أحاسيس الغيرة تجاه أختها التي تحاول الاستيلاء على كل شيء : مسرح أمير وقلبه وبيته ! بل ان أحاسيسها كانت تذهب بها في بعض الأحيان الى آفاق غريبة تجعلها تظن أن أميرا يريد أن يثبت بسحر لسندس أنه قادر على صنع الأبطال والبطلات ، وليس ببعيد أن يأتي اليوم الذي يثبت فيه أمير لسحر أن سلوى يمكن أن تكون البطلة القادمة ـ خاصة وأن مخايل الغرور كانت تتفجر من حين لآخر من سحر برغم محاولاتها المستميتة لكبتها ، وكان خروج عماد من الفرقة والتحاقه بفرقة سندس نتيجة لأحد هذه الانفجارات ٠ فاذا كان أمير قد تخلص من سندس التي تجيد القيام بدور الفنان المتواضع ، فماذا سوف يفعل بسحر التي لابد أن تطير على أجنحة الغرور لو نجح العرض الذي حشد له أمير كل طاقاته المادية والمعنوية ؟!

أما أمير فقد ابتسم في سخرية عندما بلغته الأنباء بأن سندس تنوي اعادة تقديم « سندريللا » وقال : ان المسكينة لا تجد ما تعيش عليه سوى الفتات المتساقط من مائدة المأدبة

الفاخرة التى قدمتها للجمهور الذى عاش ليالى السحر والانبهار والفن الرفيع فى مسرحه ٠

وكان أمير قد رفض اصرار سحر على مقاضاة سندس بتهمة سرقة نص لا تملكه ، وحتى تتدخل المحكمة لمنع العبث الذى تحاول القيام به ، اذ كان رأى أمير أن أكبر عقاب يمكن أن يحل بها هو السقوط العظيم يوم الافتتاح ! السقوط الذى لن تقوم لها بعده أية قائمة !! اذ أنها تظن أنها تستطيع مع عماد أن تعيد أمجادها معه ! بل وكانت سعادة أمير باختيار سندس لأسطورة « سندريللا » سعادة بالغة عما لو كانت قد اختارت نصا آخر ، اذ أنها ستكون موضع مقارنة معه عند الجمهور ! ومن يجرؤ على أن يضع نفسه فى مثل هذا الموضع لابد وأن يكون قد وضع بنفسه حبل المشنقة حول عنقه !! ولذلك رفض أمير اقتراح سلوى بالحرص على تقصى أخبار سندس لأنه كان متأكدا من النتيجة المأسوية مقدما !

لكن سحر لم تقنع بهـذا بل دفعت بأصدقائهـا من الصحفيين الى الغمز واللمز بل والصراحة فى بعض الأحيان فى تغطيتهم لأخبار سندس بحيث يترسب فى وجدان من يقرأ هذه التغطية أن سندس تسعى الى حتفها بظلفها لدرجة أن بعض المعجبين المشفقين عليها ذهبوا اليهـا وألحوا فى النصيحة لتتخلى عن هذه المحاولة المميتة ، لكنهم ذهلوا عندما ووجهوا بشكرها على النصيحة الغالية واصرارها فى الوقت نفسه على الاستمرار فى المحاولة حتى نهايتها ، واتهموهـا فيما بينهم وهم خارجون بأن الغرور قد أعماهـا عن تبين

خطاها في الاتجاه الصحيح ، وعليها أن تتحمل نتائجه وأن تدفع ثمنه ، وهو ثمن قد يكلفها مستقبلها كله !

أما التغطية الصحفية لعرض « ذات الرداء الأحمر » فكانت شبه يومية ، فلم تخل صحيفة أو مجلة أو برنامج فنى فى الراديو أو التليفزيون من صورة لاحدى البروفات ، أو خبر عن أمير أو سحر أو الفرقة بصفة عامة · وكلها صور وأخبار وتعليقات تؤكد أن « ذات الرداء الأحمر » ستكون قنبلة الموسم التى ستنفجر كالبركان الذى سيطيح بكل العروض الموجودة فى الساحة الفنية ، وفى مقدمتها عرض « سندريللا » الذى لابد أن يكون هزيلا بعد أن استعانت سندس بمؤلفين موسيقيين من الشباب والهواة ، فى حين أن واضع موسيقى « سندريللا » التى قدمها أمير ، هو نفسه الذى وضع موسيقى « ذات الرداء الأحمر » !

لكن لم يكن كل أعضاء فرقة أمير متحمسين للعمل تماما ! فقد افتقدوا رقة سندس ، وقلبها الكبير النابض بحبهم كلهم ، وعبقريتها فى اضفاء جو من الشفافية والرهافة على آدائها بصفة خاصة وعلى آداء الجميع بصفة عامة ! كانوا يستمدون من روحها وعذوبتها وحنانها وطاقتها القدرة على التفوق على أنفسهم كل ليلة من ليالى العرض · وكان هذا الحب الفياض المتدفق فى الأداء ينتقل من منصة المسرح ليسرى فى القلوب القابعة فى القاعة كمس السحر الحلال · لكن سحر لم تكن قادرة على هذا الاشعاع والتألق ، مما جعل أعضاء الفرقة يؤدون الرقصات والمواقف كموظفين أو تلاميذ

نجباء يؤدون الواجب المفروض عليهم • كان الاتقان متوافرا ، وهو ما حرص عليه أمير ، لكن مس السحر الذى تتميز به الأعمال العظيمة كان غائبا • استمات أمير كى يصل بالشكل الفنى الى أبعد آيات الاتقان لكن المضمون أو الجوهر أو الروح كان يوحى من طرف خفى أن هناك شيئا ناقصا وغامضا لابد أن يوجد حتى يتحقق الكمال الذى ينشده أمير !

وكان بعض أعضاء الفرقة المتحمسين لأمير ولسندس ، والذين حزنوا أشد الحزن على القطيعة التى وقعت بينهما قد خافوا على أمير من أن يصبح لقمة سائغة لسحر التى كانت تغذى غروره وعنجهيته بالمعسول من الكلمات والحركات ليل نهار ، خاصة وأن وشائج الروح كانت شبه متقطعة بينهم وبينها لأنها لم تكن تهتم بأحد الا به وبعبقريته ، فاقترحوا على أمير أن يضمن الأوبريت بعض الاسقاطات المعاصرة التى تجعل روح العصر ينبض فى ثنايا العرض ، خاصة فيما يتصل بدور الذئب الذى يمكن أن يكون رمزا لكل الذئاب التى تنهش جسد المجتمع المعاصر الذى يمكن أن يتجسد فى شخصية ذات الرداء الأحمر نفسها • لكن النرجسية المفرطة كانت قد سدت أذنى أمير بأحجار صماء ، فلم يستجب لهم الا بالسخرية والتجاهل ، خاصة وأن هذا الاقتراح كان عماد قد أبداه عندما عرض عليه فكرة الأوبريت قبل أن يهجر الفرقة . ورفض بشدة لايمانه أن مسرحه محراب للانبهار والسحر والأحلام ، يلجأ اليه الجمهور هربا من وطأة الواقع الجاثم على كاهله ، لا أن يصدمه مرة أخرى بمرارته وبأسلوب حاد ومركز •

وبعد ذلك اقترح أعضاء الفرقة الحصول على أجازة أسبوعية لتعويض انهاك الاسبوع كله فى البروفات مع تخفيض ساعاتها مع اقتراب ليلة الافتتاح حتى يكونوا فى أتم لياقة صحية لهم ، لكن أمير رفض الاقتراح بشدة ، لأنه أدرى بالهدف الذى ينشده ، اذ أن النجاح عنده هو الراحة الحقيقية وليس الكسل أو التكاسل · كان يسوقهم بسوط لا يرحم ، وفى الوقت نفسه كانوا يشعرون بسوط غامض يلهب ظهره فى صحوه ومنامه · وعلى الرغم من بعض الحوادث المتفرقة مثل اغماء راقصة صغيرة نتيجة للاجهاد ، وسقوط راقص من على سلم المنصة سقطة أصابت ساقه بتمزق ، وسيطرة النعاس على بعض الأعضاء فى جلستهم فى انتظار القيام بأدوارهم ، فان أمير واصل الزحف كقائد لا تهمه سوى اللحظة التى يدق فيها النصر أجراسه الذهبية المدوية فى كل الآفاق · وكان يحلو لسحر من حين لآخر أن تقول لأعضاء الفرقة أن الأستاذ أمير دخل فى منافسة مميتة مع نفسه حتى يتفوق عليها بعد أن أعياه البحث عمن يجرؤ على منافسته !

وفتح شباك الحجز لتمتد الطوابير أمامه برغم قرار أمير برفع ثمن التذاكر · وفى مدى ثلاثة أيام تم حجز مقاعد المسرح كاملة لمدة تزيد على شهر بعدة أيام ، مما عاد على أمير بما يغطى نفقات الانتاج المسرحى كله · وبدأت أجراس النصر تدق فى آذانه التى طربت لها أشد الطرب وأعذبه مما دفعه الى مزيد من الجهد والتفانى حتى يكون عند حسن ظن

جمهوره الحبيب الذى أولاه هذه الثقة الغالية بهذا الحجز المبكر لكل المقاعد لمشـاهدة عرض لم يره أحد بعد ، اذ يكفى أن يكون عليه اسم أمير حلمى ٠ لكن الاجهاد المتواصل لدرجة أنه رفض منح فرقته أجازة قبـل يوم الافتتـاح للراحـة والاستجمام جعل الأعضـاء يترحمون على أيام سندس التى كانت تؤكد لأمير دائما أن استرخاء العضلات هو جزء لا يتجزأ من التدريبـات اليومية ٠ فكانت قادرة على كبـح جماحه وجنونه ، أما سحر فهى تساهم فى دفعه الى الأمام حتى كاد أن ينكفىء على وجهه كحصان مجهد يجر عربة ثقيلة عـلى طريق وعر صاعد بين الجبال ٠

لكن نشوة سحر لم تستمر بنفس التجلى اذ أن اللافتة الضخمة المضيئة على واجهة المسرح لم تحمل اسمها كمـا حملت اسم سندس من قبل ، بل أعلنت بأضواء حادة ساطعة ملونة : أمير حلمى يقدم ذات الرداء الأحمر ٠ لم يرد اسم سحر ولا اسم أى من العاملين فى الأوبريت مما جعل واضع الموسيقى يهدد برفع قضية على المسرح اذ أن عقده معه ينص على وضع اسمه فى الاعلانات فى مكان بارز ٠ وحاول أمير ترضيته باضافة اسمه الى اعلانات الشوارع والميادين ، أما لافتة الواجهة المضيئة فسوف تستغرق وقتا لتغييرها فى حين أصبح الافتتاح وشـيكا ٠ لكن سحر آثرت الصـمت حتى لا يضيع حلم عمرها هباء بسبب مشكلة شكلية مثل هذه ٠ فلتكن عملية اذ أن الجمهور فى النهاية سيراهـا على المسرح بشحمها ولحمها بطلة للعرض بطوله وعرضه ، وسيصبح

اسمها على كل لسان وصورتها فى كل عين . ولذلك لم تفاتح أميرا فى الموضوع وان كبتته داخلها على مضض خاصة كلما وقع بصرها على اللافتة العملاقة .

حطت خيبة الأمل على رؤوس وصدور وظهور معظم العاملين فى العرض ، خاصة الكبار منهم عندما وجدوا اعلانات الصحف والمجلات صباح الافتتاح وقد خلت من أسمائهم ، وكأن أمير حلمى هو كل شيء : المسرح والفرقة والعرض ، وهم مجرد أصفار على يساره ! وجدوا فى هـذا السلوك المفاجيء الذى أخذهم على غرة نوعا من الأنانية والنرجسية التى أصبحت جنون العظمة بعينها . هل هذه هى مكافأتهم بعد كل هذا التفانى والاجهاد والاستماتة والطاعة العمياء ؟! نضحت خيبة الأمل فى العيون التى خبا بريقها فى استسلام ورضوخ اذ لم يتبق على الافتتاح سوى أربع وعشرين ساعة !

وجاءت ليلة الافتتاح ، ليلة من ألف ليلة ! غرقت واجهة المسرح ومدخله فى طوفان من الأنـوار الفضـية والذهبية والبلورية والحمراء والخضراء حيث تتابعت العربات الفاخرة التى هبطت منها الوجوه النضرة ، والعيون المتألقة ، والعطور الفيحاء ، والأزياء المرصـعة بالمجوهرات ، والأيدى المشعة بوميض الماس ، والحلل الفاخرة التى أوحت لأمير بأن مسرحه أصبح امتدادا حيا لأمجاد الأوبرا العريقة التى احترقت . كانت حركة المرور على وشك أن تتوقف أمام المسرح لزحام السيارات والجمـاهير التى تكأكأت على الطوارين كى تمتع البصر بمشاهدة نجوم المجتمع .

لم تبرح صـــورة سندس مخيلة أمير منذ بداية الليلة العجيبة · رثا لها فى صميم قلبه اذ كيف زينت لها نفسها الأمارة بالسوء أن تتحداه وتهجره ؟! كان يمكن أن تستمتع بأمجاد هذه الليلة ، ليس بالضرورة كبطلة للعرض ، ولكن كزوجته ! هذه المكانة الأثيرة التى تتمناها أية فتاة مصرية أو حتى عربية ! لكنها رفست النعمة بقدمها وعليها أن تتحمل تبعة حماقتها وغرورها وغبائها ! كانت تظن أنها البطلة التى لا غناء له عنها ، لكن هذه الليلة بالذات ستشهد مولد بطلة جديدة على يديه !

علت دقات المسرح ايذانا بفتح الستار بعد أن انتهى الأوركسترا من عزف الافتتاحية ، فضجت الأكف بالتصفيق وشدت العيون بخيوط من ضياء الى ما يدور على المنصة حيث كانت ذات الرداء الأحمر ترقص مع صديقاتها أمام باب بينها فى خفة وسعادة حاملة فانوســا أحمر وســـط فوانيس صديقاتها المتعددة الألوان والدائرة حولها فى خفة ورشاقة ! وكان أمــير قد بث عيونه فى أرجــاء المسرح لاعتقــاده أن سندس لن تستطيع أن تفوت فرصة كهذه ، حتى لو جاءت متخفية وان لم يكن مثل هذا السلوك يتمشى مع شخصيتها وتفكيرها · لكن أحدا لم يات اليه فى وقفته بين الكواليس كى ينبئه بوجودها !

لكن هذا الموضوع لم يعد يشغل بال أمير الذى ساوره القلق فى نهـــاية الفصـــل الأول ، اذ أن الحركات الحادة والوقفات المفاجئة فى الرقصات لم تكن بالاتقان أو الثبات

الذى تصـــوره وتمناه ٠ كذلك فان قائد الأوركسترا وهو واضع الموسيقى أيضا كان يقود العازفين بطريقة آلية لدرجة أنه فى بعض الأحيان كان يصرف النظر عنهم وعن الراقصين والراقصات الى الجمهور الذى كان ملتفتا مصغيا وان غاب بريق الانبهار فى عيونه ٠

وبمجرد أن أسدل الستار على الفصل الأول مع تصفيق الجمهور الحار استدعى أمير كل العاملين ومعهم المؤلف والقائد الموسيقى وأعرب لهم عن استيائه من الأداء الذى هبط بصفة عامة فى النصـــف الثانى من الفصـــل ، وأبـدى ملاحظاته التفصيلية حول الحركات والايقـاعات والايماءات ، وطالب بسريان الحمية والحماس حتى فى الحوار بين الشخصيات ! ثم أضاف أنه لاحظ هذا الهبوط ، لكن اذا استمرت الحال على ما هى عليه فسيلاحظه الجمهور ٠ عندئذ ستكون الطامة الكبرى ! صحيح أن الجمهور رفع أكفه بالتصفيق الحار عند أسدال الستار ، لكن ـ وهذا ما لم يصارح به أمير أعضاء الفرقة ـ التصفيق الملتهب وآهـــات الاعجاب وأصـــوات الاستحســـان التى انطلقت ليلة ســـندس كانت مدوية فى القلوب قبل الآذان لدرجة أن صداها يتردد فى أسماعه الآن !

كان أمير يتحرك بينهم فى عصبية الى درجـة التشنج لعله يبث فيهم الروح والحمية والحماس الذى كان مشتعلا ليلة سندس ، لكن الارهاق فى الأجساد والاحباط فى العيون ظلا تحت غلالة شـــفافة رقيقة من ادعاء الحمـــاس والطاعة العمياء ٠ بل ان خاطرا كئيبا اعترى سحر وأوحى لها بأنها

ستحصد ثمار النرجسية التى رعتها بنفسها فى تربة أمير !
حاولت أن تتخلص من هذا الخاطر حتى لا يؤثر على تركيزها لكنها لم تستطع ٠ فكان عليها أن تحارب فى تلك الليلة فى جبهتين : الارهاق والقلق ، خاصة أن ابتسامة التشفى على وجه سندس لم تغادر خيالها أيضا !

فتح الستار عن الفصل الثانى بحماس جديد سرى فى أوصال الراقصين والراقصات ، العازفين والعازفات مما أثلج صدر أمير ٠ لكن يبدو أن الشحنة كانت ضعيفة ، أو أن الحماس كان مفتعلا ، أو أن الاجهاد كان ثقيلا ، اذ سرعان ما هبطت الفورة مما أثار حفيظة أمير الذى تحرك بين الكواليس فى جنون محاولا اثارة الحمية على المنصة ! لكن يبدو أنه زاد الطين بلة اذ أن بعض صغار الراقصين والراقصات التفتوا اليه فانقطعت صلتهم النفسية لبعض لحظات مع سحر فوجدت نفسها تتحرك فى فراغ اذ غابت استجابات من حولها لحركاتها وايماءاتها ، فاهتز الايقاع لتنفصل الحركات عن الجمل الموسيقية !

أما قائد الأوركسترا أسفل المنصة فكان بحكم اقترابه من الصفوف الأولى للمتفرجين يلتقط بأذنه بعض التعليقات التى تفلت من الجمهور فى اللحظات التى تخفت فيها الموسيقى أو تصمت تماما : ماذا جرى لأمير حلمى ؟! لماذا لم يستعن بسندس ؟! ليس هذا هو المستوى الذى توقعناه ؟! لماذا يقحم نفسه فى قصص وأساطير أجنبية ؟! تبدو بعض الراقصات كأنهن سكارى ؟! لماذا رفع ثمن التذاكر ؟! يبدو أنه المخرج

والمصمم والمؤلف والموسيقى ؟! لم يذكر اسم أحد هؤلاء فى الاعلانات أو النشرة ؟!

أما الجمهور الذى التزم الصمت فقد تململ بعضه فى المقاعد ، فى حين استكان البعض الآخر للتثاؤب أو النظر فى ساعات اليد فى الضوء المنبعث من المنصة ! ظلت الحال هكذا حتى أسدل الستار على الفصل الثانى وسط تصفيق آلى سرعان ما تحول الى ضربات متناثرة للأكف ! جرى أمير ليرى الجمهور من انفراجة جانبية للستار اذ اجتاحه احساس أن الجمهور لن يكمل حضور العرض . وجد بعض المقاعد خالية لكنه طمأن نفسه بأن أصحابها قد ذهبوا الى البوفيه أو دورة المياه .

عاد كالمسعور ليجمع الفرقة مرة أخرى وهو يتماسك قدر امكانه ، مثل القائد العسكرى الذى لا يسمح لنفسه بالانهيار والا انهارت كتيبته كلها . ولكن لم يكن أعضاء الفرقة من السذاجة بحيث لا يشعرون بما يجتاحه من الداخل ! فليس هذا هو أمير الذى عرفوه والذى يظن أنه يستطيع أن يحرك العالم باشارة من اصبعه ! تفجرت عصبيته الملتهبة فى رعشة يديه وشفتيه ، وزوغان نظراته المترددة فى خضرة عينيه التى ذبلت ، وأنفاسه اللاهثة التى يسحبها بصعوبة !

لم يجمعهم لالقاء الأوامر واصدار التعليمات كعادته ، وانما ليرجوهم أن يصمدوا وأن يستخرجوا من أعماقهم أقصى

طاقاتهم ، فالفصل الثالث والأخير فصل مصيرى ، وهو لم يتعود الفشل فى حياته ، ولذلك فهو على استعداد أن يموت ناجحا ولا أن يعيش فاشلا آ

تماسكت سحر بدورها وصور سندس والاحلام الضائعة تطاردها ، وأعربت عن تأكدها من أنها وكل الزملاء سيكونون عند حسن ظنه ، وسيكون الفصل الأخير نجاحا مدويا يغطى على بعض الثغرات التى وقعت أثناء العرض · ودهش أعضاء الفرقة الذين سمعوا لأول مرة كلمة « كل الزملاء » وهى تخرج من شفتى سحر بتعاطف شديد بعد أن كانوا فى نظرها مجرد راقصين وراقصات أو مجرد أعضاء الفرقة ·

لكن الشحنة التى فجرها أمير ودعمتهـا سحر سرعان ما تلاشت عندما انفجرت راقصـة صغيرة فى البكاء الذى انقلب الى نحيب ، وعندما تجمعوا حولهـا محاولين اسكاتها وسؤالها عن السبب ، قالت من بين دموعها المنهمرة ·

ـ لم أر الأستاذ أمير أبدا فى مثل هذه الحالة !!

نهشت الكلمـات قلب أمير كمخالب نسر لكنه أسرع ليربت على رأس الراقصة ووجنتيها مداعبا :

ـ الفنان كتلة من المشاعر الفياضة المتضاربة ! وما تمر به يمكن أن يمر به أى فنان مهما كان ضليعا وعبقريا !

ابتسمت الراقصة وسط دموعها وكأنها لم تكن تحلم بأن يربت أمير بنفسه على رأسها ووجنتيها · قالت :

ــ أنا على استعداد كى أموت من أجل نجاحك !

ضاقت بها سحر فصاحت مدعية الدعابة :

ــ فلنوفر مشاعرنا الفياضة لأداء الفصل الثالث !

أضاف أمير فى حماس متنام :

ــ سأتابع ابداعكم وعبقريتكم من خلال الكواليس ! الله معكم !

عزفت الفرقة الفاصل الموسيقى الذى فتحت على أثره ضلفتا الستار ليبدو مشهد الذئب وهو يرقص فى انتظار قدوم ذات الرداء الأحمر ليلتهمها بعد أن التهم جدتها . كان الأداء على ما يرام وقلب أمير يلهج بصلاة صامتة خاشعة بين الكواليس حتى ينجح الله الفصل الثالث فيعوض به ما ضاع فى الفصلين السابقين . لكن يبدو أن النحس يلهث خلفه . بدلا من أن ينفعل برقصات الذئب العنيفة لدرجة الخوف والرهبة ، انطلقت ضحكات الجمهور من بين جنبات المسرح وكأنه يتابع مهزلة مسرحية !!

عض أمير بنان الندم المرير لرفضه أداء دور الذئب . لم يحتمل أداء هذا الدور الكريه وهو معبود الجماهير . لكن الراقص الذى أداه لا يملك حاسة الاحساس بالجمهور بحيث يتلاعب بمشاعره من خلال المرونة فى تلوين الأداء . أسلم أمير أمره الى الله كقائد فقد السيطرة على ميدان المعركة وأصبح فى انتظار ما تأتى به الأقدار ! ترك الكواليس وانزوى على

مقعد وقد دفن رأسه بين يديه حتى بلغ أسماعه التصفيق الختامى الذى لم يستمر سوى لحظات وكان الجمهور كان فى عجلة من أمره ليغادر المسرح ٠

أمرت سحر عامل الستار كى يفتحه لتحيى الجمهور مع زملائها ! وياليتها ما فعلت ! اذ لم يكن قد تبقى فى المسرح سوى ظهور المتفرجين فى طريقهم الى أبواب الخروج فلم يلتفت أحد منهم الى الفنانين الذين يتلهفون للانحناء ردا على تحياتهم!! أغلق الستار ليهرع الجميع للالتفاف حول أمير الذى انهار باكيا فى نشيج مرير ! كان يرزح تحت كابوس لا يستطيع الاستيقاظ منه ! حاولوا التخفيف من وطأة الليلة عليه لكنهم سرعان ما جرفهم الانهيار ٠ لكن سحر سرعان ما صاحت فيهم :

ـ العرض الذى قدمناه ليست بهذا السوء الذى نتصوره ! صحيح أنه كانت هناك بعض الثغرات والهنات نتيجة للارهاق وسوء الفهم الذى قد يكون بيننا ، لكننا كأسرة متحابة نستطيع أن نتجاوز هذه الأخطاء فى الليالى القادمة ٠ فكم من ليالى افتتاح كانت فاشلة ثم استمر العرض بعد ذلك بنجاح منقطع النظير ٠ فلنعتبر الليلة مجرد بروفا عامة حضرها الجمهور ٠٠ لكن ما يقلقنى فعلا أن الجمهور لم يكن متجاوبا منذ البداية مع العرض ٠٠ مما يجعلنى أشك أن هناك أمرا مدبرا فى الخفاء ٠٠ ولا يوجد هناك من يموت شوقا لهدم المسرح على رؤوسنا مثل سندس ٠٠ ولذلك أعتقد أنها أرسلت بعض شباب النادى الذى تعمل على مسرحه لالقاء

التعليقات هنا وهناك بهدف التأثير على الجمهور دون أن يدرى ! حتى يصبح فشل عرضنا أكبر عذر لفشل عرضها الأكيد !

صمتت سحر لتلتقط أنفاسها اللاهثة ، فوقف أمير بعد أن مسح دموعه وقال بلهجة القائد المهزوم الذى يودع جنوده :

ــ فلترد أثمان التذاكر المباعة كلها ·· وغدا سأعلن اعتزالى للمسرح !

سقط النبأ على رؤوسهم كمطارق من حديد متوهج بالنار فأطارت عقولهم فى مناطق معتمة مجهولة ، فعبرت العيون المشدوهة الجاحظة عن عجز الألسنة الخرساء ! سار أمير الى الممر الخافت الضوء وهو يقول :

ــ أرجوكم ·· لا أريد نقاشا حول هذا الموضوع ·· فهو قرار لا رجعة فيه !!

★ ★ ★

(١٠)

لم تترك سحر وسلوى أميرا لحظة واحدة سوى فى ساعات النوم التى كانت زاخـــرة بالكوابيس والأنفـــاس المتقطعة · قدر لهما اخلاصهما وان أصر على اعتزاله برغم الخطابات التى تكدست فى الصحف والمجلات تطالب بعودته·
لكن الأمر الذى أدهشـــه أن ســحر كانت مهتمة به أكثر من اهتمامها بموضوع اعتزاله ، اذ أنها صارحته ذات مســاء بأن قرار اعتزاله أمر خاص به تمـــاما ويجب ألا يسمح لأحد بالتدخل فيه خاصة وأن له من الدخول المالية ما يجعله يعيش ملكا · فالمسرح لم يكن مصدر رزقه على أية حال ، بل انه اذا أحال مبنى المسرح الى دار للسينما فانها يمكن أن تـدر عليـــه عائدا يزيد على عائد المسرح دون جهـــد أو عذاب !

لكن أميرا كان زاهدا فى الكلام مما جعل سحر تظن أنها أوشكت على الايقـــاع به فى شباكها · كانت ترد على أسئلة الصحفيين وتقابلهم باستمرار نيابة عنه فى أحاديث أحالتها فى الأيام الأخيرة الى حرب شعواء ضد سندس متهمة اياها بالخيانة والطعن فى الظهر وتأجير العملاء لتدمير البنيان الشاهق الذى أقامه أمير بجهده وعبقريته · لكن ســـندس لم ترد على أى من هذه الاتهامات الجارحة برغـــم الحاح الصحفيين عليها حتى تتحول المسألة الى معركة صحفية تزيد من التوزيع · كان عذرها أن وقتها مشغول تماما مع أخوتها وأصدقائها فى التدريبات بعد أن أصـــبح يوم الافتتـــاح وشيكا ، وهى تتمنى من الله أن يكون العرض الذى ستقدمه ، الرد العملى على كل الاتهامات الظالمة الموجهة اليها !

كادت سحر أن تجن لاصرار أمير على عدم الاقتــراب منها ولو خطوة واحدة جديدة ! كانت تظن أن وقوفهـــا الى جانبه فى محنته التى تحدث عنها الدانى والقاصى كفيل بأن يلهج لسانه بالحمد والثناء عليها ومن ثم يستسلم تماما لغرامها · لكن شيئا من هذا لم يحدث ، بل بدا شاردا طوال فترات اليقظة لدرجة أنها اقترحت عليه الذهاب لاستشارة طبيب نفسى اذا كان يعانى من الاكتئاب ، تجاهل اقتراحها تماما وكأنها لم تقل شيئا ، حاولت أن تستشف ما يدور خلف نظراته الغامضة الشاردة لكنها لم تحصل على أى معنى معين أو فكرة محددة !

كان أمير يمر بمرحلة تأمل عميق ومراجعة قاسية للنفس ، اذ أن نار المحنة أوشكت على صهر معدنه وتخليصه من الشوائب العالقة به · لكن الرؤية لم تكن واضحة كلما حاول أن يجوس بين أحراش نفسه المظلمة · كان قد منح أعضاء الفرقة أجازة مفتوحة لحين تصفية أعمالهـا ، لكنه لم يحتمل فكرة اغلاق المسرح الى الأبد أو تحويله الى دار للسينما · بل انه نهر سحر ذات ليلة عندما عادت الى تكرار هجومها على سندس واتهامها بافساد ليلة الافتتاح · قال لها بحزم لم تعهده فيه منذ انهياره :

ـ واضح أننا لم نكن قضية سندس على الاطلاق ·· فمن باب أولى ألا تكون هى قضيتنا أيضا !

في تلك الليلة أدركت سحر أن شيئا ما من سندس لايزال فى نفس أمير · وهذا الشىء هو الذى يمنع أمير من الاقتراب منهـا فقررت فى الخفاء أن تقضى على هذا الشىء مهما كلفها · جمعت كل شباب الفرقة الذى لايزال يعانى من آثار صدمة الافتتاح ودفعت له مكافآت مجزية فى سبيل افساد ليلة افتتاح « سندريللا ٢٠٠٠ » ، لأن نجاح سندس لايعنى سوى نهاية أمير وفرقتهم الى الأبد ، أما اذا فشل عرضها فسيكون قد ضربوا عصفورين بحجر واحد : الانتقام من خسة سندس وخيانتهـا وتشجيع أمير على العودة الى المسرح خاصة وأن هذه هى رغبة الجمهور · بل انها لم تخف عليهم أن سـندس تستحق الحرق هى ومسرحها ، لكن أخلاقياتهم يجب أن ترتفع فـوق هـذه الشبهات ويقتصر

مجهودهم على تطهير المسرح من كل الدخلاء والمتطفلين عليه وفي مقدمتهم سندس برغم أنهـــا أختها ، فهي في الحق لاتعرف لنفسها أختا أو أما أو أبا أو أخا !

أما سندس فلم يضايقها ضيق ذات اليد الذي عوضته بالحب والدفء وصـــلات الأخـــوة الحميمة بين الزملاء والأصدقاء . كانوا جميعا شعلة من نشــاط متجدد وحيوية متدفقة ! ومع ذلك لم يزايلها الخوف الذي لم يخنف منه سوى اعتقادها أن فشلها – لو وقع لاسمح الله – سيكون أقل مأسوية من فشـــل أمير ! فهي لم تملأ الصحف جعجعة يومية بل التزمت الحرص والهدوء والحكمة ! لم تحـــاول أن تمس أميرا بكلمة مستغلة في ذلك فشله ، فلم تخرج ردودها حول الموضوع عن : الفنان يستفيد من فشله أكثر من استفادته من النجاح .. ولولا الفشل ما كان النجاح ! وعندما يخسر الفنان معركة فلا يعني هذا أنه خسر الحرب كلها ! فاللهم لاشماتة ! اذ كيف ســـيكون مستقبل الفن لو أضاع كل فنان وقته وجهده كي يتربص بزملائه ليتشفى فيهم عند أول بادرة فشل تحل بهم ؟!

لكن أميرا كان قد فقد الرغبة في متابعة الأخبار الفنية في الصحف والمجلات ، فلم يقرأ كلمات ســـندس الحكيمة المتزنة ! وحتى لو كانت لديه الرغبة لمنعتها سحر عنه ! ولذلك ظل على اعتقاده بأن ســـندس في قمة استمتاعها بالتشفي منه ! وأن الهوة التي وقعت بينهما لايمكن عبورها

برغم حنينه الغامض اليها خاصة وأنها ارتبطت فى وجدانه بالنجاح وأيام المجد وليالى الأحلام السعيدة · كان يتمنى فى صميم قلبه أن يحضر افتتاح عرضها الجديد ليرى ماذا فعلت هذه الفتاة الجريئة بنفسها وبمستقبلهـا الذى بناه له ؟! انه يغبطها أحيانا على هذه الجرأة والاستقلالية والاعتداد بالنفس ، حتى لو فشلت فان شرف المحاولة يكفيها ! لكن كيف يجرؤ على حضور العرض ؟! سيقول الجميع أنه حضر للتشفى وهو لايريد لحجمـه أن يصغر أكثـر مما صغر ! وماذا يمكن أن يحدث لو تقابلا وجها لوجه ؟! سيكون حرجا ما بعده حرج وعدسات الصحافة متربصة بهما ؟! عليه أن يحترم نفسه وأن يواصل التفكير فى الطريق الجديد الذى يجب عليه أن يشقه فى الحياة ! لكن أى طريق ؟! فلا يزال عاجزا عن اسكشاف معالم أى طريق حتى الآن !

ظل أمير نهبا لدوامات الحيرة والضـياع والقلق حتى فاجأته سحر بأنها حجزت لهم الصف الأول يـوم الافتتاح وأن معظم أعضاء الفرقة حجزوا أيضا لمشـاهدة سـقوط أسطورة سندس الكاذبة · قاوم أمير الفكرة بشدة مفتعلة فى حين كان داخله يصطخب بالرضوخ الكامل لها ! وأخيرا وافق ولسان حاله يقول : فليكن مايكون بعد كل ماكان !

وجاءت ليلة الافتتاح ليدخل أمير مع سـحر وسلوى ليحتلوا منتصف الصف الأول فى حين تناثر أعضاء الفرقة بين أطراف صفوف المقاعد · ازدحم المسرح الصغير المتواضع

حتى طفح بالمتفرجين الذين جلسوا على كراس اضافية رصت في الطرقات بين الصفوف · قبع أمير فى مكانه ودقات قلبه تكاد تعلو أكثر منها يوم افتتاح عرضه هو ! دار بعينيه متأملا سقف المسرح وجدرانه وستاره الأخضر الباهت لتلتقى نظراته بنظرات سحر الطافحة بالاحتقار والاشمئزاز لهذا المسرح البائس المتواضع ! مسرح لايملك فرقة موسيقية ولابد أنه يعتمد على الموسيقى المسجلة التى انطلقت بالفعل مع الاطفاء التدريجى للأنوار ليفتح الستار عن نبيل بطل الأوبريت وقد أقام حفلا ساهرا بمناسبة نجاح روايته الأخيرة التى تحولت الى فيلم ناجح أيضا · وكان قد أعلن فى الصحف والمجلات الفنية أنه سيستوحى شخصية بطلته الجديدة من أجمل الحاضرات وأكثرهن سحرا وجاذبية ، وبذلك ضمن لحفله أن يصبح باقة من جميلات المجتمع وزهراته اليانعات اللاتى تتابعن على الفيلا فى جو من الجمال العذب ·

كانت الملابس متواضعة والديكور أشد تواضعا فنظرت سحر الى أمير الذى كان منهمكا فى المتابعة :

ـ مثل أى مسرح مدرسى فى حفل نهاية العام !

ربت أمير على يدها دون أن ينظر اليها فلعنته ولعنت اهتمامه فى صمت تفجر فى وميض عينيها العسليتين !

كانت الأوبريت تنقسم الى مشاهد قصيرة متتابعة

بسرعة أذهلت أميرا اذا أن المسرح لم يكن دائريا حتى تنجز هكذا ! كان المشهد التالى فى الفيلا المجاورة لفيلا نبيل ، وهى مملوكة لسليم بك رجل الأعمال العصامى الذى بدأ حياته من الصفر واستطاع أن يكون ثروة ضخمة بمهارته وصموده ، ساعده على هذا النجاح عهد الانفتاح والرواج التجارى ·
وكان قد أنجب من زوجته الأولى ابنته سناء التى ماتت أمها فى أثناء ولادتهـــا · ومنذ ذلك الحين اهتم بأعماله ليـــل نهار ، ورفض أن يمنح ابنته حقها فى الرعاية لارتباطها فى ذهنه بموت زوجته الذى لم يكن لها فيه يد بطبيعة الحال ·
وتعثرت سناء فى دراستها بحيث لزمت المنزل بعد الانتهاء من دراستها الاعدادية برغم رغبتها الدفينـــة فى اكمـــال تعليمها ! وكان أبوها قد تزوج من ابنة رجل الأعمال الذى يعمل عنده وذلك تدعيما للمشروعات التى كان يقوم بها ·
وكانت دولت ــ وهذا هو اسمها ــ مطلقة ولها ، ابنتان سالى وسميرة من زوجها الأول الذى لم يحتمل تسلطها وغطرستها فطلقها وهاجر الى استراليا · كانت سالى وسميرة فى سن سناء ، لكنهما عاشتا حياة مرفهة فى حين لم تزد مكانة سناء على مكانة الخادمة فلة التى لم تجد لنفسها صديقة غيرها تبثها همومها وآلامها !

ارتبكت سندس بعض الشىء عندما لمحت أميرا تتابعها فى الصف الأول ، فقد شعر أنهـــا لمحته ، لكنها سرعان ما استعادت رباطة جأشهـــا واندمجت فى أدائهـــا البسيط الرقيق فى كلمته وحركته مع خادمتها فلة ، فى حين غلى

الدم فى عروق سحر وسلوى عندما شعرتا بأن الأوبريت تهدف الى تعرية أسرار حياتهم جميعا ، بل ان سندس ترفض أن تكون لها أخوات على الاطلاق لأنهما فى الأوبريت من أب وأم آخرين • مالت سحر على أذن أمير :

ــ هل تلاحظ نيتها السوداء فى فضحنا جميعا ؟!

ربت أمير على يد سحر دون أن يلتفت اليها وكأنه يأمرها بالصمت ! كانت عيناه فى أعقاب كل حركة وكلمة وايماءة ولمحة لسندس ! نظرت سحر حولها وخلفها لعلها تجد أحد أعضاء فرقتها وهو يبدى تعليقا ساخرا أو يحدث ضجيجا كما اتفقت معهم ، لكن العيون كانت مشدودة للمسرح بخيوط سحرية •

جسدت الرقصات والايماءات بالأذرع والسيقان حقد سالى وسميرة على سناء الجميلة الجذابة برغم مظهرها الحزين ، برغم أنهما لم تكونا قبيحتين • لكن أحدا لم يكن ليلتفت اليهما اذا ما وقفت سناء بجوارهما مما ضاعف من سوء معاملتهما لها ! ومع ذلك تحملت سندس كل هذا الذل بصبر وحزن • لم يكن لها سوى الله تلجأ اليه بدموعها فى خلوتها • فحتى أباها تخلى عن رعايتها وانغمس فى أعماله تاركا اياها تحت رحمة زوجته وابنتيها اللتين عكفتا على اكمال دراستهما الجامعية فى حين قامت سناء بدور الخادمة برغم وجود فلة امعانا فى اذلالها !

وبين دوى التصفيق المتفجر من الأيدى الساخنة يفتح

الستار عن الفصل التالى الذى يدور حول حفل نبيل الذى لايزال منعقدا ودولت وابنتاها يدخلن بناء على دعوة نبيل لهن بصفتهن من أقرب جيرانه • وكانت سناء قد اعتادت مشاهدة نبيل من نافذة المطبخ فى غدواته وروحاته ، وتعلقت به فى خيالها وأحلامها • لكنها لم تكن تعلم شيئا عن الحفلات والسهرات التى تدور فى فيلته بين الحين والآخر مثل هذا الحفل الصـادح الآن بالموسـيقى الحالمة وباقات الزهور الراقصة فى دوائر العطر والسحر •

أوشك تعاقب المشاهد السريع على أن يجعل الجمهور يلهث فى أعقاب الأحداث المتتابعة ، حتى فى فترات انزال الستار بين المشاهد كان الطير يعشش على رؤوس المتفرجين فى انتظار فتحه ، مما جعل سـحر وسلوى ترزحان تحت كابوس أبشع وأشد وطأة من كابوس ليلة افتتاح « ذات الرداء الأحمر » ! حتى أعضـاء فرقة أمير خانوا سحر ولم يفعلوا شيئا يعكر صفو العرض اللاهث الناعم كما اتفقت معهم بالرشـوة التى دفعتها لهم من دم قلبهـا ، بل بدوا منهمكين مندمجين أكثر من الجمهور العادى الساذج !

كانت سناء تعلم أن نجوم السـماء أقرب اليها من نبيل ، لكنها قنعت بالخيـال لأنه المملكة الوحيـدة التى لايستطيع أحد أن يقتحمها ويفرض نفسه عليها • ولذلك كانت تنتهز فرصة غياب سالى وسميرة فى الجامعة أو فى أى مكان آخر لتعلتقط روايات نبيل الذى اعتـاد اهداءها

اليها ، وذلك لتعيش بين صفحاتها الحالمة التى عوضتها عن حاضرها الجاثم كالكابوس على أنفاسـها · لكن حتى هذا الحلم لم يستمر اذ اكتشفت سالى ذات مساء غياب احدى الروايات التى اعترفت سناء بأنها أخذتها لتسلى بها نفسها ثم تعيدها اليها · لكنه كان مساء أغبر اتهمتها فيه سـالى بالسرقة واللصوصية ، ونامت سناء ودموعها على خدها ، ولولا مواساة فلة لها لماتت كمدا ·

ترامى الى أسماع سناء وفلة الموسيقى الحالمة الصادرة من فيلا أمير وهما قابعتان بين الوحدة والحزن فى عقر الدار· لم تجد فلة شـيئا ترفه به عن سيدتها المظلومة سوى أن تفتح لها التليفزيون كى تطرد الخواطر السوداء التى تهاجمها فى عنف مع الموسيقى المنبعثة من الجيرة · كان التليفزيون يعرض باليـه سـندريللا حيث عاشت سـناء وفلة بكل جوارحهما قصة تلك الفتاة البائسة التى أحبها الأمير وتزوج منها · اندمجت سناء فى متابعة رقصات سندريللا لدرجة أنها تقمصت شخصيتها وهى تتهادى فى رشاقة الفراشة بين الراقصات فى طريقها الى أمير أحلامها ·

قفزت فلة صارخة لتخرج سناء من حلم يقظتها الجميل الساحر وهى تدفعها دفعا كى تذهب الى الحفل بأى ثمن ! وعندما أبدت سناء مخاوفها من أن تتعرف عليها زوجة أبيها وابنتاها ، أكدت لها فلة أن المكياج سيغير كثيرا من ملامحها خاصة وأن زوجـة أبيها وابنتيها لم يرياها من قبـل فى

أى مكياج أو زينة من أى نوع ، وحتى اذا تعرفن عليهـــا فهى لن تخسر أكثر مما خسرت !

تحمست سناء للفكرة المجنونة وتذكرت فستان فرح أمها القابع فى صندوق المطبخ وكيف أنها جربته ذات مرة فوجدته يناسبها بطريقة مبهرة . وبالفعل ساعدتها فلة على ارتداء الفســـتان ووضع زينتهـا بحيث بدت فتنتها كالسحر والخيال وهى تتهادى خارجة الى بيت الأحــلام والخوف ينضح على ارتعاشة ساقيها واهتزازة ذراعيها .

كبتت سحر حنقها وكمدها وهى ترى أميرا الى جوارها وقد اشتعل كفاه تصفيقا والستار يقفل على هذا المشـــهد الرقيق المؤثر . سألته فى مرارة واضحة وسخرية ناضجة :

ـ ما كل هذا الاعجاب الذى هبط عليك فجأة ؟!

لم يعبأ بغيرتها القاتلة وانما أجابها بهدوء كالسكين الباردة :

ـ بصرف النظر عن أى اعتبار .. لابد أن يكون حكم الفنان على زميله حكما موضوعيا !

شرعت هبات الندم فى اجتياح جذور سحر . فهى التى خططت ودبرت بل وتآمرت كى يشهد أمير بعينيــه سقوط أسطورة سندس الكاذبة لكن يبدو ـ لا سمح الله ـ أنهـــا السبب فى عودة الوصال بينهما !! ووســط هبات الندم

المرير بزغ سؤال أو تساؤل أكثر مرارة فى كهوفها المظلمة :
هل حظ هذه السندس حظ لايقاوم ؟!

فتح الستار على حفل نبيل الذى بدا عليه السأم والملل برغم بهجة الجو وسحره الأخاذ . يقول لصديق له انه لن يعود الى الرقص الا مع الفتاة التى تهز كيانه كزلزال يزيل كل الصدأ والأتربة والرمال العالقة بنفسه ، وتفرض نفسها عليه كبطلة قادمة من عالم مثير مجهول ! وفجأة تدخل سناء فتشد اليها العيون بأسلاك ذهبية وسرعان ما يطير نبيل على أجنحة الأطياف الشفافة ، ويطلب يدها للرقص وسط تساؤلات الجميع عن هذه الفاتنة الساحرة التى طلبت منه تخفيف الاضاءة حتى يسبح الجميع بين طيات الأحلام . لا يتبقى سوى ضوء الشموع فى الأركان وأحقاد دولت وابنتيها سالى وسميرة اللاتى عجزن عن تبين حقيقة هذه الفتاة الغامضة التى ظنن فى بادىء الأمر أنها سناء لشدة الشبه ، لكن سرعان ما ضحكن على أنفسهن لهذه الفكرة السخيفة والمستحيلة . ومع ذلك فقد أشعل هذا الشبه حقدهن خاصة وأنه بات من الواضح أنها استأثرت بقلب نبيل وهى تتهادى معه فى الرقص الناعس كأمواج البحيرة البلورية الصافية فى ضوء القمر الفضى . كما استأثرت بمعظم الصور التى التقطت للحاضرين برغم أنها تحاشت مرارا عدسات المصورين .

وقبل انتصاف الليل تعللت بالذهاب الى الحمام

لاصلاح زينتها ثم تسللت مسرعة الى بيتها دون أن يلحظهـا أحد في الظلام ! ويبحث عنها نبيـل فى كل أرجـاء الفيللا لكنه لايجدها ، فيطيش صوابه لضياع الحلم الذى كان بين ذراعيه واقعا ساحرا ! ويساهم أصدقاؤه فى البحث اللاهث عنها . يستحضرون البواب الذى قال انه شاهدها آتية ثم ذاهبة على قدميها ، لكن معظم الحاضرين ظنوا أنها ربما تكون قد تركت سيارتها بعيدا نظرا لازدحـــام الشارع بطوابير السيارات التى أتى فيها المحتفلون .

ينشر نبيل صورتها فى الصحف بحيث تصبح هذه الفتاة الغامضة الحزينة الجميلة حديث الكل ، وتحت كل صورة نداء مؤثر للعودة حتى يعرف قصتها التى يشعر بأنها أروع قصة يمكن أن يكتبها لجمهوره . ولا تجد سناء مفرا من الاتصال التليفونى به وتقص عليه قصتها من الألف الى الياء وترجوه أن ينساها حتى لا يتسبب لها فى مزيد من المتاعب التى طفحت بها حياتها منذ مجيئها الى هذا العالم .

لكن ذات مغرب يطرق نبيل باب أسرة سناء ليطلب من أبيها يده وسط ذهول دولت وسالى وسمير . ويتحول الذهول الى هذيان عندما يوافق أبوها الذى أدرك أخيرا أن الله قد أرسل هذا الشاب الناجح المشهور ليعوض ابنته عن كل الآلام التى طحنتها بلا هوادة . لكن ذهول دولت وسالى وسميرة لم يكن ليعادل ذهول سناء التى لم تصدق الواقع الأعزب من الخيال .

ويتم عقد القران فى حفل من أطياف وأحلام وأضواء وألوان ، جسدت التجربة الواقعية المثيرة التى يمر بها نبيل بعد أن كان يستقى الاثارة من الخيال فقط ! لكن بمجرد انتهاء شهر العسل بدأت الحقائق تتعرى أمام عينيــــه ، خاصة الفروق الثقافية والاجتماعية بينــــه وبين سناء . صحيح أنها طيبة ونقية وذكية لكن مهارتها تتركز فى أعمال المطبخ وترتيب الأثاث ، وهو لايريد لهــــا أن تفعل هذا ، فالبيت به من الخدم ما يكفى . وبرغم رقتها وظرفها فقد عجزت عن التجاوب مع أفراد طبقته الأرستقراطية ، لكنها لم تشعر بأى عقد نقص تجاههم .

وعلى الرغم من أنها لم تكمل تعليمها ، فقد علمتهــــا دروس الحياة القاسية أن حياة زوجهــــا لاتخرج عن نطاق المظــاهر البراقة الجوفاء ، والتدليل الذى يغذى نرجسيته ويضخم ذاته فى نظره قبــل نظر الآخرين . صــحيح أنه شجعها على اكمال تعليمها ، وأحضر لهــــا المدرســين الذين بهروا لمهارتها الفائقة فى تعويض ما حرمت منــه من علــم وثقافة ، لكن حياتها مع زوجهــــا واحتكاكها اليومى به ، جعلها تختبر الحياة لتراه فى ضوء جديد .

مالت سحر على أذن أمير فى محــاولة لاطفــاء لهيب قلبها :

ــ هل تلاحظ قلة الأدب والسفالة ؟! أنت فى نظرها

مجرد مظاهر براقة جوفاء وطفل مدلل نرجسي لايرى سوى نفســه !!

لم يلتفت أمير اليها هذه المرة أو حتى يجيب ! كأنهــا لم تقل شيئا على الاطلاق ! كان وميض عينيه الأخضر متألقا فى انعكاس ضوء المنصبة عليه فتحول الى ســهام ســامة اخترقت قلبها الملتهب ! فلعنت نفسها وغباءها وحياتهــا ومصيرها !

لم ترغب دولت فى أن تستسلم بهذه البســاطة بل دفعت بابنتيها سالى وسميرة الى زيارة نبيل بحجة الاطمئنان على سناء ، وذلك بهدف تعكير صفو حياتها ، وعلى أمل أن تحل احداهما محلها فى النهاية · قرأت سالى كل روايات نبيل وأجادت تقمص سلوك بطلاته عن عمد ، فى حين أصرت سميرة على اصطحابه مع زوجته فى رحلات خلوية كي يهبط عليه الالهام بأفكار لروايات جديدة · حاولت سناء أن تكشف نواياهما لنبيل ، لكنه كان سعيدا بصحبتهما ! بل ظهرت بوادر النفور وسوء التفاهم بين نبيل وسناء نتيجة لفشلها فى الارتباط الفكرى والوجدانى به ولألاعيب سالى وسميرة ! وتتصاعد الأمور الى درجة اهانة نبيل لهــا وتذكيرها بأنه أخرجها من الذل والبؤس الى النعمة والرفاهية ، لكن سناء لاتستكين لأول مرة فى حياتها وتصــارحه بأنه يعيش فى الوهم ثم يبيعه الى الناس على شكل روايات ! أما مشكلات

الناس الحقيقية ومعاناتهم فليست فى اعتباره لأنه لايعرفها أصـــلا !!

تتصاعد المناقشة الى معركة حاميــــة الوطيس تنتهى بالطلاق بينهما ، فى حين يطير قلب ســــالى طربا ويرقص فرحا ، بل وتصارح سناء بأنها يجب أن تعلم أنه لم يعد لها مكان فى بيت أبيها بعد طلاقها ، لكن سناء تؤكد فى هدوء أن عهد الذل قد انتهى سواء فى بيت أبيها أو بيت زوجها ، وتخرج من البيت الى حيث لايعرف نبيل مكانها !

وتهجم سالى بكل ثقلها على نبيل مستغلة محنته مع سناء ، وتنجح فى أن يعقد خطبته عليها استعدادا لتحقيق هدفها النهائى فى الزواج منه · لكن صورة سناء الرقيقــة الجميلة لاتفارق مخيلته ، وكلماتها الأخيرة تطن فى أذنيه ، خاصة بعد أن عجز عن كتابة كلمة واحدة فى روايته التى كان ينوى البدء فيها · وبدأ يشعر بالفراغ يجتاح حيــــاته برغم وجود سالى وسميرة وأمهما ، بل انه بدأ يعانى من الملل والسأم فى وجودهن ، بعد أن أدرك أن سناء لم تكن مجرد عروس جميلة يلعب بها ، بل عقل ناضج لابد أن يحترمه ·

كانت سناء تجيد الطهى بكل أنواعه فالتحقت بأحد الفنادق حيث أثبتت جدارتها ، وأحبها كل العاملين معها ، فيقدمون معها رقصة بالقبعات البيضــــاء العاليــة والمغارف والملاعق ، تثير مرح المتفرجين وضحكاتهم ، وتشيع جوا من الارتياح بعد تأزم المواقف السابقة ·

تشعر سالى بتقوقع خطيبها ، وتفشل كل محاولاتها كى يفتح لها قلبه الذى لم يتخط أسوار الماضى . كان يتعلل لها بأنه منهمك فى البحث عن بداية لروايته الجديدة . وبالفعل كان تفكيره المستمر فى سناء قد هداه أخيرا الى كتابة قصته معها . وبمجرد أن بدأ فى كتابة الرواية وجد نفسه منهمكا فى العمل ليل نهار لدرجة أنه طلب من سالى عدم التردد عليه بصفة منتظمة لحين الانتهاء من الرواية الجديدة . فقد كانت أطياف سناء تتراقص حوله كلما وضع القلم على الورق فطردت الملل من حياته . عاش معها كل جزئيات حياته معها على صفحات روايته التى تحولت الى نبضات حية بالأيام الجميلة القليلة التى نعم فيها بوجودها الذى لم يقدره حق قدره . وسرعان ما دفع بها الى المطبعة وتلقفها النقاد فاذ بهم يجدون كاتب الرومانسية الحالمة وبائع الوهم وقد كتب رواية تستمد جذورها من أرض الواقع ، وتمس حياة الناس فى صميمها ، واذ بالرواية تلقى رواجا ضخما وتنال جائزة التفوق القومى .

شعر نبيل بأن فضل هذا النجاح الضخم يعود الى سناء . ويبدأ مرة أخرى فى البحث عنها فى كل مكان يحتمل وجودها فيه لكن بلا جدوى . ومع ذلك هداه تفكيره الروائى الى اقامة حفل ابتهاجا بالرواية الجديدة والجائزة المرموقة ، وأعلن فى الصحف والمجلات الفنية أنه فى انتظار استقبال البطلة التى كان لها الفضل فى الهام بهذه الرواية .

ويفتح الستار عن المشهد الأخير حيث يتوافد المدعوون على الحفل وفى مقدمتهم سليم وزوجته دولت وابنتاها سالى وسميرة الذين قتلهم القلق ، كل لسبب خاص • كان قلق سليم على ابنته المظلومة دائما ، فى حين كان قلق دولت من تهديده بالطلاق اذا لم تعد سناء ، وقلق سـالى من عودة سناء وضياع نبيل من يدها بعد أن أوشكت على أسره !

يبدو نبيل قلقا حائرا لا يستطيع رفع عينيه بعيدا عن المدخل • وبعد طول معاناة وصبر وقلق تبدو سنـــاء بنفس المظهر البراق الذى ظهرت به من قبل فى الحفل السابق ، فى حين تشهق دولت ولسانها يلهج بحمد الله ، وسالى تذهــل مستاءة يائسةلضياع نبيل من يدها ، وسليم يهرع لاحتضان ابنته العائدة •

يستقبل نبيل سناء منحنيا ومقبلا يدها أمام الجميـــع الذين يتساءلون عن هذه الفاتنة الغامضة التى تظهر فى حفلات أمير على غير انتظار ، فى حين تنسحب دولت وسالى وسميرة فى هدوء وخيبة أمل ويأس مرير •

يطلب نبيل يدها للرقص مفتتحا الحفل ، لكنها تقول له فى أثناء الرقص ان الواقع أروع دائما من الوهم مهما كان ساحرا وجميلا ، وأن أروع شىء فى روايتـه الجديدة التى قرأتها بمنتهى الفهم والنهم هو أن المشاكل لا تنتهى بالزواج وانما تبدأ به ، وهى أروع ما فيه لأنها تثبت جدارة الزوجين الفعلية به • فلا حلاوة بدون نار ، ولا حياة بدون تحديات !

ويسدل ستار الختام وسط التصفيق المدوى وآهات الاستحسان وصيحات الاعجاب وذهول سحر التى رأت أميرا فى مقدمة المصفقين دون أن يعبأ بها ! ويرتفع الستار مرة أخرى وسط عاصفة عارمة من التصفيق وسندس تقف بين زملائها كواسطة العقد ممسكة عمادا بيمينها وبطل الفرقة بيسارها ، والجميع ينحنون مرارا وتكرارا ، والعاصفة تشتد وتنثر أوراق الورد على المسرح · وتلتقى عيناها بعينى أمير الذى يجتاحه الحرج والخجل فيتوقف عن التصفيق دون تفكير ، ويتململ فى وقفته كأنه ينوى الخروج أو الهروب بجلده ، فتمسك سندس بالميكروفون وتنداح العاصفة حتى تسكن تماما ولا يتبقى سوى الأنفاس المبهورة ، فتقول بصوت متهدج والدموع تكاد تطفر من عينيها :

ـ أنا لست أهلا لكل هذا التقدير والحب !! لقد منحتمونى أكثر مما أستحق !! فالفضل يرجع لله أولا ·· ولأستاذى ثانيا ·· ولكم ولزملائى أخيرا !!

تفجرت كلمة « أستاذى » فى أعماق أمير كقنبلة أو كلغم موقوت ! لم يعرف ماذا يفعل بنفسه فى تلك اللحظة العجيبة سوى أن يستدير ليشرع فى شق طريقه بين الأجساد المتراصة الى الخارج ، لكن سندس قالت فى عجلة :

ـ وكان لنا شرف حضوره كما كان لنا شرف حضوركم ·· فالتهنئة موجهة اليه كما هى موجهة الينا ·· فقد تعلمت على يديه ما قدمته لكم الليلة !

ثم تهبط فى رقة الفراشة على درجات المنصة لتلحق به وتمسك بيده وتجذبه خلفها كطفل ضال وجد أمه أخيرا حتى صعد معها على المنصة وهى تصيح فى فخر وجزل :

ـ أستاذى ٠٠ الأستاذ أمير حلمى !!

التهبت الأكف بالتصفيق فى ايقـــاع لهتـاف من وحى اللحظة :

ـ سـندس ٠٠ أمـير ٠٠ سـندس ٠٠ أمـير ٠٠٠ سندس ٠٠ أمير !!

رفع أمير يده ليمسك بالميكروفون المعلق والدموع تنهمر من عينيه :

ـ لا أعرف كيف أشكر للفنانة العظيمة سندس هـذا الكرم الغامر الذى لا أستحقه ٠٠ ولكم هذا الحب العظيم الذى أغرقتمونى فيه ٠٠ برغم أننى قررت فى لحظة طفوليـة أن أهجركم ٠٠ أى أهجر حياتى ومصيرى ومستقبلى ٠٠ فاغفروا لى عقوقى ورفسى للنعمة العظيمة ٠٠ كما أرجو من سندس أن تسامحنى عن كل ما أرتكبته فى حقها من أخطاء وهفـوات اتسع لها قلبها الكبير !!

صمت للحظات يلتقط فيهـا أنفاسه المبهورة ، ويمسح دموعه وحبات عرقه المنهمرة على جبينه ووجنتيه ، فى حين عاد الجمهور الى الايقاع الحار للتصفيق والهتاف :

ـ سـنـدس ٠٠ أمـير ٠٠٠ سـنـدس ٠٠٠ أمـير ٠٠ سندس ٠٠ أمير !!

واذ بالزملاء وأعضاء الفرقة يشاركون الجمهور التصفيق والهتاف ، وقد أمسك أمير بيد سندس بحرارة متدفقة وهـو يقترب بشفتيه من الميكروفون :

ـ هل تشرفنى الفنانة سندس بالموافقة اذا تقدمت لطلب يدها منكم ؟!

تحولت العاصفـة العارمة الى اعصار هادر هز جدران المسرح :

ـ سـنـدس ٠٠ أمـير ٠٠ سـنـدس ٠٠ أمـير ٠٠ سندس ٠٠ أمير !!

وكان ختـام الليلـة العجيبة فيضـا من نور القلوب ، وفيضانا من العواطف الهادرة من منابع النفس البشرية عندما تصفو وتتطهر وتتألق بجوهرها النقى الثمين !!

* * *

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٨٥٥٢/ ١٩٩٠

ISBN — 977 — 01 — 2597 — 0